دار الكتاب الصوفى

تقـــدم

الأمة الإسلامية

فى

نهاية قرن وبداية قرن جديد

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع

شارع بورسعيد

تليفون المكتبة / 3901030 022 002

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب الصوفى

١١٤ شارع مجلس الشعب – بالقاهرة

ت: ٣٩٠١٠٣٠

الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع

٩٩ / ١٠٠٦٠

I. S. B. N.

977 – 5237 – 43 - 9

مقـــــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلـــق أجمعـــين وآلـــه وصحبه.. وبعد:

تتطلع البشرية إلى قيادة حضارية جديدة، تأخذ بأيدى الناس إلى عالم أرحـــب وأفق حضارى واسع.. لأن الحضارة المادية فشلت فشلاً ذريعاً فى قيـــادة المســـيرة الحضارية الإنسانية، و لم تفلح فى توفير الحد الأدنى من السعادة لبنى الإنسان.. وقد تحدث كثير من كبار المفكرين فى الغرب عن الحضارة الغربية الحديثة، مـــوجهين إليها سهام النقد اللاذع.. يقول (برتراند راسل) الفيلسوف الإنجليـــزى المعاصـــر: (لقد انتهى العصر الذى يسود فيه الرجل الأبيض.. وبقاء تلك السيادة إلى الأبـــد ليس قانوناً من قوانين الطبيعة، وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أيامـــاً مرضـــية كتلك التى لقيها خلال أربعة قرون).

ويقول العالم الأسبانى (فيلا سبازا): (إن جميع اكتشافات الغرب العجيبة ليست جديرة بكفكفة دمعة واحدة، ولا خلق ابتسامة واحدة.. وليس أجدر مـــن أمـــم الشرق– المحتفظة بالثقافة العربية الإسلامية والقائمة على إذاعتها– بوضع حد نهائى لتدهور الغرب المسئوم، الذى يجر الإنسانية إلى هوة التوحش والتسلط المادى).

(الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة فى ضوء الفقه الحضارى، عمر بهاء الدين الأميرى، ص ٢٢).

والواقع أن هؤلاء المفكرين ليسوا وحدهم فى هذا الميدان، فهناك كتـــب عـــدة تكفلت بمعالجة هذا الموضوع منها: (العودة إلى عالم جديد جرئ، وليم ساروريان) و (الغزو المجهول، ميشيل رونالد) و (تدهور الغرب، أزولد شبنكلر) وغيرها.

لقد أجمع هؤلاء على أن الحضارة الغربية فى سبيلها إلى الزوال والانهيار، ذلـــك

أنها- كما يرى رئيس أساقفة كنيسة كانتربرى- قد استشرى فيها أهم عاملين من عوامل الانهيار الحضارى وهما:

١ – اضمحلال الجانب الروحى، وغلبة المادية وسيطرتها على جميع مناحى الحياة.

٢ – الانحطاط الخلقى وانتشار الفوضى والإباحية الجنسية، وانتشار الخمور والمخدرات والجرائم.

وليس هذا بمستغرب على حضارة نمت وترعرعت فى أحضان المادية، بعيدا عن هدى السماء، وتوجهات الوحى الإلهى.

إن الحضارات- حتى الحديثة منها- أخذت فى تكوينها ما بين ألوف ومئات السنين، عدا الحضارة الإسلامية فلم تتجاوز العشرات من السنين، فهل إذا عدنا إلى ديننا ونحن لسنا فى عصر الخيل والبغال والحمير، كمواصلات واتصالات، ولكننا فى عصر الأقمار الصناعية والصواريخ العابرة للقارات والسينيما والتليفزيون والفيديو والكمبيوتر والإنترنت.. هل يستغرق ذلك منا بضع سنين؟.

إننا حين نتذكر المسرات التى كانت لسلفنا حينما كانوا متمسكين بالكتاب والسنة.. نتذكر الأندلس وفخامة المسلمين فيها، ونور صناعاتها وفنونها، وأضواء علومها التى انتشرت على أرض الظلمات فى أوربا، فأحيت الأحجار، وأقامتها تزاحم أنجم السماء، نتذكر مجد بغداد ودمشق، وإسلامبول، وتلك الأنوار التى كانت تسطع منها على العالم أجمع، لانتشار الحرية والعدل، والإرادة والمساواة، وانتشال العالم من ظلمات الكفر، ومن ظلم الاستعباد والاستبداد، ثم نبحث: بم كانت؟ وكيف كانت؟ وبم ذهبت؟ وكيف زالت؟ فيظهر لنا أنها كانت بالعمل بالكتاب والسنة، وزالت بإهمال العمل بهما، فإذا حننا إلى هذا المجد، واجتهدنا أن نعود إلى التمسك بمبادئ ديننا الحنيف، ونعيد مجد سلفنا الصالح نستطيع أن نمسك

بزمام الحضارة المرتقبة، وعندها لن نتخذ من الوصول إلى الفضاء دليلا على إنكار وجود الله، ولن نتخذ من الصواريخ عابرة القارات ذريعة إلى تهديد الأمم والشعوب لتظل تحت دائرة نفوذنا، ولن نتخذ من الإذاعة وسيلة للتضليل، ولا من السينما آلة للإغراء، ولا من المرأة متعة للجسم، ولا من التقدم الحضارى أداة لاستغلال الشعوب المختلفة واستثمار خيراتها وإذلال كرامتها.

لن نفعل هذا كله لأننا أصحاب دين عظيم:

* العقيدة فيه قائمة على التوحيد الخالص والانقياد التام لله رب العالمين.

* والعبادة فيه ليست طقوسا مبهمة أو حركات غامضة، بل هى وسيلة للأخذ بأيدى الإنسانية إلى معارج السمو والكمال.

* والخلق الكريم فيه هو أساس التعامل بين بنى آدم جميعا وليس لكسب مادى .

* والشريعة فيه سمحة يسيرة، تتواءم مع قدرات الإنسان وإمكاناته، وتوازن بين الجانب الروحى وبين الجانب المادى فى النفس الإنسانية، وتجعل الناس جميعا- على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأوطانهم ودينهم- على قدم المساواة فى الحقوق الإنسانية الأساسية.

باختصار.. الدين الإسلامى دين عالمى جاء بهدايته للبشر جميعا، وهو الدين الحق، الذى إن صدق أتباعه فى تطبيق أصوله ومبادئه، فهم أحق الأمم بقيادة النظام العالمى، وأجدرها بقيادة المسيرة الحضارية الإنسانية.

والعالمية حين تضاف للإسلام، فإن المعنى ينصرف إلى ثلاث نواح مجتمعة هى:

١- أن الإسلام رسالة موجهة إلى جميع الخلق وهم جميعا مطالبون باعتناقه دون إكراه أو إجبار.

٢- أنه يشتمل على أصول جميع الشرائع السابقة غير المحرَّفة، فهو اللبنة الأخيرة

فى صرحها الشامخ.

٣- أن مبادئ الإسلام صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان.

ولا شك أن ذلك يتطلب أولا إلقاء نظرة فاحصة على واقع الأمة الإسلامية حالياً، للوقوف على أسباب ضعفها، وتشخيص أمراضها وعللها، إذ أننا نؤمن إيماناً عميقاً بأن التشخيص الجيد هو أول وأهم مرحلة فى العلاج.. من هنا كان الفصل الأول فى هذا البحث عن أسباب ضعف الأمة الإسلامية.

وبعد التشخيص الدقيق لأمراض الأمة، ومعرفة أسباب ضعفها، كان لابد من البحث عن العلاج الناجع، للنهوض بالأمة الإسلامية، فكان الفصل الثانى عن سبل النهوض بالأمة الإسلامية.

ثم نختم هذا البحث بالفصل الثالث، الذى نحاول فيه تقديم بعض التصورات حول كيفية سيادة الأمة الإسلامية، وعودتها إلى مكان الريادة فى مسيرة الحضارة الإنسانية.

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى،

ويهدينا إلى صراطه المستقيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الخليفة الثالث

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم عليه السلام

الفصل الأول
أسباب ضعف الأمة الإسلامية

لا خلاف على أن الأمة الإسلامية تعيش – منذ قرون – حالة من الضعف والتخلف كان من نتيجتها أن أصبح المسلمون فى مؤخرة الصفوف بعد أن كانوا فى مقدمتها، وأصبحوا فى ذيل القافلة الحضارية بعد أن كانوا قادتها.

وتعود أسباب هذا الضعف إلى عوامل كثيرة، منها ما هو نابع من داخل الأمة المسلمة ذاتها، ومنها ما كان نتيجة المؤامرات الخارجية التى نسج خيوطها أعداء الأمة بمهارة شديدة..وإنه من المؤكد أنه بين الجانبين (الداخلى والخارجى) تلازما قويا وعلاقة وثيقة.

يقول الأستاذ ياسر أبو شبانة فى رسالته (النظام الدولى الجديد) ص٦٧٣: ولكن رغم تلازم الجانبين إلا أننى أرى أن الأسباب النابعة من داخل الأمة الإسلامية هى أساس المشكلة، لأنه إذا كانت الأمة قوية القواعد سليمة البنيان الروحى والمادى، فلن تستطيع مؤامرات الأعداء أن تنال منها شيئا.

لذا سنبدأ بذكر العوامل الداخلية لضعف الأمة الإسلامية.

أولا: الأسباب الداخلية

(أ) على المستوى الفردى:

١ – غياب المعنى الصحيح للإيمان:

إن الإيمان الحق – فى المنظور الإسلامى – ليس مجرد اعتقاد قلبى سلبى، بل هو

محرك إيجابى للتعبير عن مكنونات الصدر، بسلوك نافع وعمل صالح، ويتضح هذا الأمر جليا فى سنة المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ حيث ربط ﴿ﷺ وآله﴾ بين الإيمان القلبى والسلوك التطبيقى فقال: (الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل)، وقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (البخارى ومسلم).

وعندما غابت هذه المعانى عن النفوس حدثت الغفلة، التى نتج عنها منطقياً حدوث الضعف والتخلف:

* فقد غاب معنى المراقبة لله رب العالمين، فوقع الكثير من الانحرافات فى المجتمع المسلم، لأن الإنسان إذا تجرد من معانى المراقبة وقع فيما يغضب الله.

* وكان الخوف من فوات الرزق، أو من انتهاء الأجل هما أساس كل الانحرافات فى حياة الفرد، وبالتالى المجتمع المسلم.. إذ أن غلبة المادية وسيطرتها التامة على مناحى الحياة المختلفة، دفعت الإنسان إلى الدخول فى حمأة صراع رهيب لتحصيل المادة بأى شكل ومن أى طريق، دون التقيد فى ذلك بحدود الفضيلة أو قواعد الحلال والحرام.. كما أن الخوف من انقضاء الأجل يجعل ضعيف الإيمان، لا يجهر بحق، ولا يجاهد فى سبيله. ولا يبذل روحه فى سبيل إعلاء رايته.

وقد جمع النبى ﴿ﷺ وآله﴾ بينهما فى الحديث الشريف حيث يقول: (إن روح القدس قد نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وتستوفى أجلها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، فإن رزق الله لا ينال إلا بطاعته) (أبو نعيم والسيوطى فى الصغير).

وفى رواية أخرى: (فلا تستبطئوا الرزق بالمعاصى، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته).

* ومن مظاهر غياب مفهوم الإيمان الصحيح سوء فهم الكثير من الناس للقدر، فتراهم يستقبلون أحداث الحياة على أنها قدر حتمى لا مفر منه، ومشيئة إلهيـة لا مهرب منها. وإن كان هذا التفكير صحيحا فى بعض جوانبه، إلا أنه وبال وخطر داهم فى جوانب أخرى. فهزيمة المسلمين حضاريا اليوم، وتخلفهم فى ميدان التقدم المادى، وتحكم غيرهم فى مصيرهم.. كل هذا قدر حتمى ومشيئة إلهية. نعم! ولكنه فى الوقت ذاته أثر لتقاعس المسلمين عن الأخذ بأسباب التقدم.

وقد أشار القرآن إلى هذه القضية فيما أصاب المسلمين فى غزوة أحد بقوله:﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسـكم إن الله على كل شئ قدير﴾ (آل عمران : ١٦٥).

ومن الناحية الأخرى يسود الاعتقاد بأن عودة المسـلمين إلى مقـام الريـادة الحضارية قدر حتمى ومشيئة إلهية لابد أن يتحقق، وهذا بالقطع صـحيح تمامـا، اعتماداً على ما جاء فى الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من مبشرات التمكين للأمة الإسلامية. مثل قوله تعالى:﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملـوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن هم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونى لا يشـركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾ (النور: ٥٥).

ولكن- رغم ذلك- لابد من التنبيه إلى أن هذه الآيات قد تضمنت شروطا لابد أن يفى المسلمون بها حتى يكونوا- بحق- المؤمنين الجـديرين بـالتمكين فى الأرض، وهى: الإيمان، والعمل الصالح، وعدم الشرك فى العبادة.

* أما أهم وأخطر مظاهر غياب المفهوم الصحيح للإيمان، فيتمثـل فى إهمـال السمع والطاعة، بمعنى الامتثال الفورى والتنفيذ التلقائى لكل ما يصدر عن المولى تبارك وتعالى ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾ من الأوامر والنواهى قال تعالى:﴿ **ويقولـون**

آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾)النور: ٤٧).

٢- تضييق مفهوم العمل الصالح وحصره فى نطاق الشعائر التعبدية:

هذا هو السبب الثانى من أسباب ضعف الأمة الإسلامية على المستوى الفردى، وهو بلا شك مترتب على السبب الأول، وواحد من آثاره، فحينما يغيب المفهوم الصحيح للإيمان لا بد أن يغيب حتماً المفهوم الحقيقى للعمل الصالح.

وقد وقع الخطأ والانحراف الشديد حينما فهم العمل الصالح على أنه مجرد أداء الشعائر التعبدية، وفسرت العبادة التى خلقنا الله من أجلها- بذلك- فى قوله تعالى:﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (الذاريات: ٥٦).

ومما يؤكد خطأ هذا المفهوم الضيق للعبادة أن الشعائر التعبدية ذاتها لا يمكن أن تقام إلا بتحقق أوجه النشاط البشرى المتعددة من صناعة وزراعة وتجارة وبحث علمى..إلخ، ومادام هذا النشاط سبيلا لتحقيق واجب فهو أيضا واجب تطبيقا للقاعدة المشهورة: (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

إذاً المسلم فى أى مكان كان، هو عابد لله رب العالمين، فى حقله، أو متجره، أو مصنعه، أو غير ذلك. • وعمله هذا عمل صالح يتقرب به إلى الله، إذا تحقق فيه شرط النية الصالحة: بالإخلاص لله، والإتقان التام.

علاقة أركان الإسلام بالعلم

* يتساءل الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه: ما هى أركان الإسلام؟ وما علاقتها بالعلم؟، ثم يجيب قائلاً:

الركن الأول: توحيد الله

وتتريهه سبحانه عن الشريك والنظير والوالد والوالدة والحلـــول. واعتقـــاد أن سيدنا ومولانا محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، المـــبين لطريقـــه المستقيم، الموصل إليه، الدال على كمال توحيده وتتريهه.

الركن الثانى: الصلاة

وهى العبادة الجسمانية الروحانية ولا تكون كاملة إلا بالمال، لأنه اشترط فيهـــا ستر العورة، واشترط فيها العلم الذى لايتحصل عليه إلا بالنفقة، وقد جمعت جميع العلوم لأجل أن تقع كاملة: فيجب على المسلم أن يتعلم علـــوم الفلـــك لـــيعلم المواقيت، وعلم تخطيط الأرض من جهة القبلة، وعلوم النفس لتكون كاملة، وعلم الطب ليعلم الطهارة والنجاسة والقوة التى تجب عليه فيهـــا قائمـــاً أو قاعـــداً أو مضطجعاً، وعلوم الأخلاق ليحسن اجتماعه بإخوانه، وعلوم الهندسة ليبنى المسجد ويوقع محرابه على جهة القبلة. والقراءة والكتابة ليحفظ من القرآن مـــالا تصـــح الصلاة إلا به. وفنون الغزل والنسج لعمل ما يستر به عورته، ويلزم على ذلك فنون الزراعة.

الركن الثالث: الزكاة

وهى توجب على كل مسلم أن يتعلم فنون التجارة والصناعة ويتقن العمـــل ليكتسب المال، ويتعلم علوم البيوع ليكون كسبه من حلال، ويتعلم الحساب الذى يحسن به إخراج الزكاة، ويتعلم طبقات الناس ليضع الزكاة فى مواضعها، ويـــتعلم فنون شروق الأهلة حتى يخرج الزكاة فى أوقاتها الشرعية.

الركن الرابع: الصيام

ولا يكون كاملاً إلا إذا علم دورة الأرض اليومية التى يتبين منها الفجر الصادق، والغروب الصادق. ويعلم مقادير المسافات الأرضية حتى يفطر فى السفر الشرعى، ويعلم حقيقة الرحمة عملا بالفقراء والمساكين، ويعلم القدر الذى لا يضر من الجوع والعطش، حتى إذا بلغ ما يضر أفطر.

الركن الخامس: الحج

وهو ركن مالى بدنى روحانى لا يقوم به إلا من عمل فى الدنيا، حتى جمع ما لابد له منه من وجه حلال، ولا يقوم به إلا من علم أخلاق الأمم وعوائدهم بدرس علوم التاريخ، وعلم ما يضر و ينفع من الأطعمة والأشربة مما هو متعود عليه وهو علم الكيمياء، وعلم أماكن الأمن والخوف وأوقات هبوب الرياح، ليسرع فى مكان ويبطئ فى مكان، ويسير فى وقت ويقف فى آخر، وهو العلم بالآثار (بالأحوال) الجوية.

وفى تلك الأركان من العلوم التى يكتسبها القائم بها من مكاشفة آيات، ومشاهدة أسرار، ورياضة روحانية بدنية، وتبادل أفكار، واكتساب علوم، ومعرفة رجال، واطلاع على غرائب القدرة فى بر وبحر، وأنواع الحكمة من أنواع الناس مالا يخفى).

(وسائل إظهار الحق، للإمام المجدد أبى العزائم، ص ١١٠، ١١١.)

وقد ترتب على الخطأ فى مفهوم العبادة والعمل الصالح أن أصبح الدين- فى نظر الكثيرين- محصورا فى المساجد والزوايا، لا يتعداها قيد أنملة، وأصبح المتدين هو الشخص الذى لايفارق (السجادة والمسبحة) أى أصبح الدين شيئا والدنيا شيئا آخر. (وهذه هى العلمانية اللادينية فى صورها الحقيقية).

بل ووجد انفصام تام بين سلوك الفرد داخل المسجد وخارجه.. وهذا بلا ريب من أقوى وأهم أسباب ضعف الأمة الإسلامية.

٣- الانغماس فى شهوات النفس وحظوظها:

من المبادئ الإسلامية الأساسية أن الإسلام يبيح للإنسان أن يتمتع بطيبات هذه الحياة وزينتها، وينكر أشد النكير على من يحاول إظهار الإسلام بصورة متزمتة كئيبة، تخالف حقيقته، وتتناقض مع جوهره الأصيل، وفى نفس الوقت يحذر من التمادى فيه إلى الحد الذى يصبح فيه المرء عبداً لحظوظ نفسه وشهواته، فلا يبالى فى سبيل تحصيلها أن تهدر كل القيم، ويداس على كل الفضائل، فهذا هو الخطر الأكبر الذى يواجه المسلمين.

وإنما ينبع هذا الخطر الكبير من مصدر واحد، هو تعلق القلب بالدنيا مما ينتج الأمراض القلبية كالكبر والحسد والرياء والعجب وغيرها، وتستحيل علائق الأخوة، ويسلطهم الله بعضهم على بعض، ويتفرقوا..وهذا المعنى أشار إليه الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى) ص.١١

فقال بعد أن بين مجد سلفنا الصالح، وأن أسباب ضياعه هى حب الدنيا: [حتى فتحت الدنيا، فتنافسوها كما تنافسها الأمم السابقة، فاضطروا- لحبهم الدنيا- إلى مخالفة الوصايا الشرعية، وإلى تعدى الحدود، وصار كل فرد يعمل لنفسه من غير رعاية لأحكام الله، ولا رحمة بأخيه، ولا خوف من يوم الحساب، فتحوا بهذا العمل على أنفسهم باباً من الشرور، دعا إلى ارتكاب الآثام والتحاسد فأهملوا إقامة الحدود، وتهاونوا بأحكام القرآن، حرصا على الدنيا، وبخلاً بالأنفاس أن يعمروها بالطاعة، فسلطهم الله على بعضهم، فلم يعتبروا فتفرقوا، والله تعالى يقول:

﴿ ولا تفرقوا﴾ (آل عمران :١٠٣)].

٤- إعطاء صورة سيئة عن الإسلام أمام أعدائه:

وهذه النقطة نتيجة للسابقة، فلقد كان المسلم قديما سفيراً صادقاً للإسلام محمود السلوك ففتح البلاد بأخلاقه وآدابه، أما اليوم فالسفير أو الثرى المسلم المسافر إلى الخارج يهتم فى أغلب الأحيان بالقمار والزنا واللهو، مما يعطى صورة سيئة عن الإسلام فى شخص هذا الإنسان المنتمى للإسلام.

وكذلك نجد عدم النظافة المادية والأخلاقية فى بلادنا، والتخلف العلمى أيضا من مظاهر إحجام الكثير من أعداء الإسلام عن الارتباط به، لجهل أبنائه بدينهم، وليس لقصور مبادئه.

٥- الحلم الخاص للفرد المسلم:

كل مسلم يحلم حلماً خاصاً به وبأسرته، فكل ما يهمه هو أن يعلم أولاده، ويوفر لهم وظيفة، ويطمئن على زواجهم، ويترك لهم رصيداً مادياً ضخماً يضمن لهم الرفاهية طوال حياتهم، ولا يهمه باقى أفراد المجتمع سواء من ذوى رحمه أو جيرانه، أو مجتمعه الذى يعيش فيه، ناهيك عن باقى أفراد الأمة الإسلامية.فأنتج ذلك فقد المودة والرحمة والعطف بين أعضاء الجسد الإسلامى الواحد، مخالفين قول النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).(متفق عليه).

٦- عدم الاهتمام بالتعليم الدينى:

نتيجة لإبعاد العلمانية اللادينية لمادة الدين عن مراحل التعليم الجامعية، وجعلها مادة لا تضاف إلى المجموع فى مراحل التعليم الأساسية والإعدادية والثانوية، فقد تم

إهمال تعلم الدين، فلو أن الطالب رسب فى مادته فلا يهم، أما إذا رسب فى مـــادة أخرى كالرياضة أو الفيزياء أو الإنجليزى أو غيرها، فإن ولى أمره يسرع ويبـــادر بتقويته فيها.. مما أنشأ جيلاً فارغاً من محتواه الدينى، بعيداً عن فطرته التى فطره الله عليها.

هذه هى أهم أسباب الضعف على مستوى الفرد المسلم، وهى- كمــا هــو واضح- مترابطة ومتشابكة، وهى- فى الوقت ذاته- الأساس فى أسباب الضــعف على مستوى الجماعة، إذ أن المجتمع ليس إلا مجموعة من الأفراد، وبحسب حــالهم من التمسك الحق بمبادئ الإسلام أو البعد عنها يكون حال المجتمع.

(ب) على المستوى الجماعى:

١ – إبعاد المنهج الإسلامى عن الحياة:

تحت وطأة الانبهار بمنجزات الثورة العلمية الحديثـــة فى الغـــرب، ســـرت فى الأوساط الإسلامية الأصوات والدعوات العلمانية المنادية بفصل الدين عن الدولة، وإبعاد الإسلام عن جوانب الحياة المختلفة:

* فلا علاقة للإسلام بنظام الحكم وشئون السياسة، بل لابد من الأخذ بالنمط الغربى بكافة حذافيره، دون التفات إلى ما يناسب مجتمعاتنا أو مالا يناسبها.

* ولا دخل للإسلام بالنظام الاقتصادى، فالمسلمون جزء من العالم تحكمهـــم القواعد الاقتصادية العالمية، ولا يمكن لهم اعتراض سبيلها، حتى لو خالفت مبـــادئ دينهم.

* أما الأوضاع الاجتماعية، فلابد من تحطيم القواعد الإسلامية الباليـــة – فى نظرهم- وإطلاق العنان لغرائز النفس، وشهوات الجسم دون حسيب أو رقيـــب، ولابد من تحرير الفرد من كافة القيود التى يفرضها الدين من العفـــة، والـــروابط

الأسرية.. وغيرها.

باختصار ... ليس للإسلام من دور فى الحياة البشرية، اللهم إلا قليلا من الشعائر والطقوس لتحقيق التهذيب الوجدانى والسمو الروحى.. هذه هى الفكرة التى يروج لها أدعياء الثقافة، ودهاقين الفكر التقدمى المستنير- كما يسمون أنفسهم- وهم فى الحقيقة كالحمار المربوط على الخسف المتلذذ بالعلف.

*** يتساءل الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى) ص٢٢: [من أين أوتينا حتى تمكن العدو فسلب الملك والحرية والاستقلال، وأفسد الآداب والأخلاق، حتى فقد أكثر الشرقيين ما لابد لهم منه فى أوطانهم، فأصبح الأعداء رؤوسا بعد أن كانوا أذنابا، يتمتعون بخيرات الشرق ونعمه، ويتسلطون على أهل الشرق تسلط المالك القاهر من غير عدل يوجب المساواة، ولا رحمة تقتضى المساواة؟].

ثم يجيب الإمام على هذا السؤال بقوله: [الإنسان بمعناه تأبى عليه مرتبته فى الوجود، وقدره بين الأنواع المحيطة به أن يستعبده طاغ ظلوم، أو يسلب منه الحرية والإرادة باغ غشوم، اللهم إلا إذا فقد إنسانيته وانحط إلى حضيض البهائم الرتع، ونسى أنه إنسان، وجهل أن الذى استعبده نظيره، وتناسى صبغة الدين التى هى فطرة من فطر الإنسان، ونظر بعين الجبن البهيمى، والعجز النباتى، والهبوط الجمادى فرأى المتسلطين عليه بعين وهمه وخياله ليسوا من بنى الإنسان لما نالوه من الزينة والأموال.. ومن استكان لهذا الذل هبط إلى حضيض الأسفلين، ومحى اسمه من سجل بنى الإنسان، وصار كالبهائم التى تؤكل ولا تأكل، ويملكها الغير ولا تملك.

وسبب هذا جهل الإنسان بنفسه، ونسيانه ما أوجبه عليه الإسلام من اليقظة والعمل للخير العام، واعتماده على غير ربه استسلاماً لأهل الحظ والهوى ممن يحبون

العاجلة الذين هم سبب تمكينهم الأعداء من الأمم، طمعا فى تحصيل مشتهياهم فى ظلال الخزى والمهانة، كالحمار المربوط على الخسف المتلذذ بالعلف].

٢ – التمسك بالشكليات والظواهر دون الحقائق والجواهر:

فى مواجهة أهل الحق المستمسكين بدينهم، المؤمنين بشمولية الدين لكافة مناحى الحياة، لم يجد أرباب العلمانية والتغريب أمامهم من سبيل سوى خداع الجماهير الغفيرة بشعارات شكلية، يحاولون من خلالها الظهور بصورة المحافظين على الإسلام، المحترمين لمبادئه وعطائه الحضارى للإنسانية.

فعلى سبيل المثال : تنص معظم الدساتير فى البلدان الإسلامية على أن الإسلام هو الدين الرسمى للدولة، وأن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع، ومع ذلك لا تزال نصوص بعض القوانين فى معظم تلك الدول تطفح بما يخالف الشريعة الإسلامية، ويتصادم مع المبادئ الأساسية للإسلام.

* فهل يكفى مجرد اعتبار الإسلام الدين الرسمى للدولة، واعتبار الشريعة الإسلامية مصدر التشريع الأساسى؟!

* أو هل يكفى مجرد الاحتفال الشكلى بالمناسبات الدينية كالمولد النبوى الشريف، والهجرة المباركة، والإسراء والمعراج.. وغيرها ؟!!

* أو هل يكفى أن تذاع فى وسائل الإعلام برامج دينية مكررة ضعيفة الهدف والمضمون، وفى أوقات تكون نسبة المشاهدين والمستمعين فيها ضعيفة جداً؟!

إن هذه الأمور – وغيرها – لا تتعدى أن تكون مجرد أوضاع شكلية ظاهرية، يقصد منها – فقط – الإبقاء على الإسلام كصورة تاريخية تراثية، دون السماح له بالنفاذ إلى الجوانب الحياتية المختلفة.

٣- الاكتفاء بتمجيد الأسلاف والتغنى بتراثهم:

لكل أمة تاريخها وتراثها الذى تفخر به وتعتز، ولاشك أن المسلم حينما ينظر إلى تاريخ أمته المجيد، وتراثها الحضارى العظيم، تأخذه نشوة فخر واعتزاز.. ولا يفيق من هذه النشوة سوى بذلك الفصام النكد بين واقعنا المر المخجل وتاريخنا العظيم، وما أصدق كلمات عبد الرحمن الكواكبى فى هذا المقام، إذا يقول: [لقد ملّ آباؤكم من إطرائكم إياهم، وكأنى سمعتهم بالأمس يقولون : إن كنتم تفخرون بنا فإنا لا نفخر بكم، لأن العمالقة لا تلد أقزاماً] وهذا حق لا ريب فيه، فإن كنا حقاً نفخر بأسلافنا فلابد من السير على دربهم، واقتفاء آثارهم، ولابد من الأخذ بأسباب النهضة والتقدم التى أخذوا بها.. أما الوقوف طويلاً للبكاء على الأطلال، أو الحديث المتواصل عن عظمة الحضارة الإسلامية التى كانت، أو عن ماضى الأمة الإسلامية المجيد، دون العمل على إعادة هذا المجد، فهو مجرد إضاعة للوقت والجهد فيما لا يجدى ولا يفيد.

٤- الإهمال فى استثمار نعم الله وأسبابه الموجودة فىالكون:

سخر الله تعالى الكون عاليه ودانيه للإنسان، وجعل هذا التسخير قانوناً مطردا مع كل بنى آدم، دون التفات لتوافر عنصر الإيمان بالله أو عدم توافره بمقتضى عطاء الربوبية الذى يستوى فيه المؤمن وغير المؤمن.. وتزداد هذه القضية وضوحاً فى تأمل قول الله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير**﴾ (البقرة:١٢٦).

إذ يلاحظ فى الآية الكريمة أن الخليل عليه السلام أراد حصر عطاء الربوبية (الرزق من الثمرات) فى دائرة المؤمنين بالله واليوم الآخر فقط، ولكن رب العزة

جل شأنه جعل عطاء الربوبية لغير المؤمنين أيضاً، فإنهم سيحصلون منه على نصيبهم الدنيوى، وهو مهما عظم وكثر قليل، بالنظر إلى سوء العاقبة التى تنتظرهم عند الله يوم القيامة.

يستخلص من هذا: أن العطاء الربانى موجود فى الكون لمن يبذل جهده فى استخلاصه واستثماره، أما القاعدون المتخاذلون فلا نصيب لهم فيه، حتى ولو كانوا مؤمنين بالله.

وقد كان يجب على المسلمين المعاصرين أن يستفرغوا أقصى جهودهم فى استغلال نعم الله وأسبابه الموجودة فى الكون، فهم أولى بأسباب الله من الكافرين، ولكن الطامة الكبرى أنهم لم يعيروا هذه القضية أدنى اهتمام :

* فالثروة البشرية الهائلة فى العالم الإسلامى – وهى أعز وأغلى ما تملك- لم تستغل الاستغلال الأمثل، و لم يهتم أحد بتنظيمها وتدريبها.

* والمساحات الزراعية الشاسعة فى البلدان الإسلامية، لم تجد من يلقى فيها البذرة لتنتج الخير الوفير، الذى يكفى المسلمين مؤونة الاستجداء، والتوسل لأعدائهم للحصول على أقواتهم الضرورية، ولا يحصلون إلا على الفتات، الذى يدفعون فى مقابله عزتهم وكرامتهم.

* والصحراء المترامية الأطراف فى معظم الدول الإسلامية، وما هو مخزون فى باطنها من كنوز وثروات معدنية ضخمة، أليست جديرة بالبحث والتنقيب فيها عن هذا الخير الوفير؟!.

* والثروة الحيوانية فى العالم الإسلامى، لماذا تتناقص أعدادها ويضعف إنتاجها، رغم وجود مساحات ضخمة للرعى؟!.

* حتى الثروة النفطية الهائلة.. لم يحسن المسلمون استغلالها، رغم أن معظم الإنتاج العالمى يخرج من ديارهم، ورغم أنهم يملكون معظم الاحتياطى العالمى من

هذه السلعة الاستراتيجية الضخمة.. فالأسعار متدنية إلى أقصى درجة، وتتحكم فيها الدول المستهلكة الكافرة، وسياسات التسعير والإنتاج والتسويق تملى على المسلمين إملاء، حتى لا ينعموا بخيرات الله، وحتى تذهب العوائد الضخمة إلى جيوب أعدائهم.

* وهذه الثروات المالية الضخمة، لماذا تبقى فى مصارف الغرب لتستفيد بها شعوبه، بينما آلاف المشروعات الحيوية الكبيرة فى البلدان الإسلامية تفتقر إلى التمويل الأساسى اللازم لها، ولا تجده إلا فى المؤسسات المالية الغربية والدولية بفوائد مضاعفة مركبة ؟!.

* وهذه الجامعات والمعاهد البحثية المنتشرة فى أرجاء العالم الإسلامى.. لماذا لم تقم بواجبها فى دراسة أسباب تخلف العالم الإسلامى فى كافة المجالات وتقديم الحلول العلمية الناجحة لها؟!. وهل اقتصر دورها على تفريخ جيوش هائلة من الموظفين أو الخريجين من أنصاف المتعلمين، الذين يقضون سنوات طوالاً قبل أن توفر لهم فرصة عمل لا تتناسب وإمكاناتهم العلمية القليلة؟!.

* حتى العقول العلمية الفذة، لم تجد من يهتم بها، أو يوفر لها الإمكانات الملائمة لتؤدى عملاً جليلاً صالحاً، فاستسلمت لإغراءات الغرب المبهرة، وهاجرت هجرة دائمة، وباينت مجتمعاتها المسلمة ثلاثاً لا رجعة فيهن.. كيف لا..والمسئولون عن الإعلام والثقافة والتعليم فى شغل عن هذه الأمور التافهة، أما الجماهير فهى تهتم باللاعب المحترف، والفنان المنحرف، ولا تشغل بالها بالعالم المغترب.

* بل حتى البحوث العلمية الجادة، احتلت مكانها بجدارة فى أدراج المكاتب أو فوق أرفف المكتبات، وضاعت الجهود التى بذلت فيها سدى، وأهدرت الأموال دون فائدة.

بعد هذا- كله- ألا يحق أن يقال:

إن المسلمين قد قصروا غاية التقصير فى استثمار نعم الله وأسبابه فى الكـــون، فتخلفوا وأصبحوا فى مؤخرة الصفوف، مع أن دينهم العظيم يأمرهم ببذل الجهـــد الجهيد فى هذا المضمار، قال تعالى: ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك: ١٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسـيلة، فـإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها) (أخرجه أحمد فى مسنده).

٥- السلبية فى مواجهة الانحرافات:

كرَّم الله الأمة المسلمة فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وجعل منـاط هـذه الخيرية متمثلا فى قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فى الإطار العام المتمثل فى الإيمان بالله، فقال تعالى:﴿**كنتم خير أمة أخرجـت للنـاس تـأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (آل عمران: ١١٠).

وحينما تهمل الأمة هذه الفريضة، فإنها تفقد مناط خيريتها، ويفقد المجتمع المسلم المناط السليم لحيويته وازدهاره، إذ تشيع الانحرافات فى المجتمع، ولا تجد من يعترض طريقها ويوقفها عند حدها، وحينئذ يكون الانهيار الشامل.

ويعلن النبى صلى الله عليه وسلم أن ترك هذه الفريضة نذير عذاب الله وإهلاكه للأمة فيقول: (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنـهون عـن المنكـر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، فتدعونه فلا يستجيب لكم) (الترمذى).

وقد دب الضعف فى الأمة الإسلامية، وضاع من بين أقدامها الطريق، حينمـا أصيبت بهذا الداء الوبيل- داء السلبية- فأهملت فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واستشرى الفساد فى أرجائها وعلا صوته، فانعكس الوضع وانقلبت الآية، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فأصبح الكرم بلاهـة، والجـبن حرصـاً،

والشجاعة تهوراً، والاحتيال شطارة.. إلخ.

٦- ظلم الولاة وصمت الرعية:

تتمثل البداية الحقيقية لهذه المأساة فى توسيد الأمور إلى غير أهلها، وتولية المناصب الكبرى لمن لا يستحقها، حينئذٍ يستبد بهؤلاء الغرور والزهو، فيحسبون أن الحق هو ما وافق هواهم، وأن الصواب هو ما تطابق مع رؤاهم، ولا يلتفتون إلى الرأى الآخر، وإن كان صادراً من أهل الكفاءة والأمانة. وقد سئل المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ متى الساعة؟ فقال: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قيل: وكيف إضاعتها؟ فقال: (إذا وسد الأمر غير أهله فانتظر الساعة) (البخارى).

أما الطامة الكبرى حقاً فهى فى هذا الصمت التام المشبع بالرضا من جانب الرعية إزاء هذا الظلم الصارخ، إذ أن هذا نذير بالهلاك والدمار، يقول المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾: (إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تودع منهم) (أحمد والهيثمى والبزار).

وهذا حق لا ريب فيه إذ لا يمكن لظالم متكبر مستبد عنيد، ومظلوم محروم أشرب قلبه الذل، وسكن إلى الأوضاع الفاسدة، أن يقيما أمة لها شأن، ودوله لها كيان محترم.. ذلك حلم المغرورين وأمنية البطالين، وما هو إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الضياع والانهيار.

ولكى يؤمِّن الحاكم الظالم نفسه وبطانته ضد تحرك الناس ليتحرروا من ظلمه، فإنه يقتل فيهم النخوة والحمية، والنتيجة الطبيعية لهذا أن تقعد الكثرة المظلومة عن مقاومة أى عدو خارجى يقصد البلاد بسوء، ذلك أنه لن يكون عدواً مشتركاً للجميع، بل عدواً للفئة الظالمة وحدها.

٧- الخلافات السياسية والمذهبية:

الأصل فى المسلمين أن يكونوا أمة واحدة، تحت قيادة وراية واحدة، وقد عاش المسلمون طويلا تحت راية الوحدة الإيمانية، ينعمون بظلالها الوارفة، وانساحوا فى الأرض ينشرون دين الله، فدانت لهم أقطار وشعوب شتى، واتسعت أرجاء الدولة الإسلامية لتشمل مختلف الأمم والأجناس، وانصهر الجميع فى بوتقة الإيمان، والكل سواسية كأسنان المشط، تجمعهم قبلة واحدة، وكتاب واحد، ودستور واحد.

ثم انفرطت حبات عقد دولة الخلافة بسبب الأطماع الدنيوية، وشهوة السلطة لدى كثير من الولاة فأعلنوا استقلالهم عن الدولة المركزية، يضاف إلى هذا ما حدث من صراعات دامية بسبب العنصر والجنس، مثل الذى حدث بين العرب والفرس، ثم بين العرب والأتراك.. كل هذا أنهك الدولة الإسلامية وأضعف قواها، فانقمست إلى دويلات صغيرة، متنافسة لا متعاونة، ومتعارضة لا متعاضدة، فطمع فيها الأعداء وبدأوا الحملات الصليبية.

ثم كان التدبير الإلهى الحكيم بظهور الدولة العثمانية، التى أعادت للخلافة الإسلامية هيبتها، واستطاعوا بوحدهم الوقوف فى وجه الأطماع الاستعمارية الصليبية، ثم عادت الكرة مرة ثانية فسرى الضعف فى دولة الخلافة العثمانية، وانتهز الأعداءِ الفرصة، وأذكوا نيران العصبية القومية فى نفوس الشعوب المختلفة، واستجاب لهم الكثير من المتطلعين إلى الزعامة والملك الدنيوى، فكان أن تفككت أوصال الدولة رويداً رويداً، وتمكن الصليبيون من احتلال معظم أجزائها، إلى أن تمكن هؤلاء من التغلغل داخل تركيا- دولة الخلافة- نفسها، فألغيت الخلافة الإسلامية.

ومنذ هذا الحدث المشئوم والمسلمون يعيشون فى إطار وحدات سياسية ذات حدود مصطنعة، وحواجز مفتعلة، أقامها الاستعمار فى اتفاقية سايكس بيكو

١٩١٧م.

هذه الحدود والحواجز يغلب بسببها على كل دولة طابعها القومى العرقى دون التفات إلى الرباط الجامع بينهم، والراية التى ينضوى الجميع تحت لوائها، راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ومما يثير الحسرة والأسى فى النفس، أن الاستعمار اللعين نجح أيما نجاح فى إبقاء فتيل النزاعات والصراعات بين الدول الإسلامية قابلا للاشتعال فى أية لحظة من خلال الصراعات الحدودية، فلا يكاد يوجد بلدان مسلمان متجاوران إلا وبينهما خلافات حدودية.

هذا عن الخلافات السياسية، أما عن الخلافات المذهبية، فالحديث عنها أكثر ألماً وحسرة سواء فيما كان بين السنة والشيعة، أم ما كان على المستوى الأدنى بين الاتجاهات الفكرية المتعددة من سلفية وصوفية....إلخ، وكلها تحركها الوهابية تمويلاً وتضليلاً.

لقد أسهم هذان الجانبان (السياسى- المذهبى) بدورهما فى إضعاف الأمة المسلمة، وضياع وحدتها وثرواتها فى خلافات سياسية وفكرية.

٨- غياب الدور التربوى الإسلامى للبيت والمسجد والمدرسة:

يهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بعنصر التربية الإسلامية، لما له من عظيم الأثر فى تكوين الأمة المسلمة القوية المتحضرة، ولكن نرى غياب الدور التربوى الإسلامى فى البيوت المسلمة اليوم - إلا من عصم الله – والحاصل أن الفكر السائد الآن بين غالبية الآباء والأمهات أن الحياة سباق محموم، يفوز به من ينجح فى الحصول على أكبر قدر من المال ليأتى لأولاده بأفخر أنواع الطعام والشراب والملبس والمسكن...إلخ. وفى ظل هذا السباق لا يجد الجانب التربوى له مكاناً.

ويترتب على غلبة الفكر المادى وإهمال التربية، أن ينشأ الجيل الجديد خاوى الوفاض فى الجوانب التربوية والروحية، فيسلم قياده للشهوات والغرائز، ليصبح بعد ذلك صيداً سهلاً للتيارات الفكرية الهدامة مثل عبادة الشيطان وغيرها.

* أما المسجد فقد أريد له أن يبقى مكاناً تؤدى فيه الصلوات بصورة وظيفية روتينية لا روح فيها ولا تأثير لها، ولا دور له فى بحث وعلاج أمراض المجتمع ومشكلاته.

* وانحصر دور المؤسسات التعليمية التربوية فى حشو العقول بكم هائل من المعلومات، وفى تفريخ المزيد والمزيد من الموظفين العاطلين، والأدهى أن يتم تغيير المناهج فى معظم البلدان الإسلامية، ليحذف كل ما يربط الطالب بقيم ومبادئ دينه، والحث على جهاد عدوه، وكل ما يتصل بالتراث الحضارى والتاريخ الإسلامى، لتبقى هذه المناهج فى نهاية الأمر متلائمة مع التوجهات العلمانية اليهودية.

لهذا كله يتبين أن غياب الدور التربوى فى البيت والمسجد والمدرسة من أهم أسباب ضعف الأمة الإسلامية.

٩- شيوع الترف وغياب معنى التكافل الاجتماعى:

يؤكد القرآن الكريم فى الكثير من آياته أن الترف أحد العوامل الأساسية فى فساد الأمم وانهيار حضارتها، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً**﴾ (الإسراء: ١٦).

وغالباً ما تكون الفئة المترفة هى نفسها الفئة المسيطرة، فالعلاقة بين الترف والسلطة قائمة إلى حد كبير. وقد كان الترف من العوامل الأساسية لفساد الأمم نظراً لما له من آثار خطيرة على المجتمع:

* فهو يقف فى وجه دعوة الحق والخير بكل قوة، لأنها تحارب أوضاع الترف وممارساته الخاطئة.

* تنبثق عن الترف ممارسات مرضية متضخمة، تهدم الإحساس الأخلاقى فى النفوس، وتنكر القيم الغيبية، وتكفر بلقاء الآخرة، ولا تقيس الأمور كلها إلا بمقياس الطعام والشراب والمتعة.

* يتسبب الترف فى اختلال الموازين والمقاييس فى الأمة، فتكون منازل الأفراد وقيمتهم بقدر ما يملكون من أدوات الترف، وما يحصلون من أسبابه وألوانه.

* يتسبب المترفون فى إهدار ثروات كبيرة من الأمة، حيث نجد الطعام والشراب واللباس وحتى الوقت، تهدر منه كميات كبيرة، فى حين أن الطرف الثانى من المعادلة (المحرومين) هم أولى الناس بما يلقى فى سلة المهملات عند المترفين من الطعام والشراب واللباس.

* يحدث الترف انقساماً هائلاً فى صفوف المجتمع، بين طبقة مترفة غايتها الدنيا لا الآخرة وتتباهى وتتعالى بالمادة والمال لا بالقيم والإيمان، وطبقة أخرى من المحرومين تنظر إلى الفئة الأولى نظرة منكسرة وحاسدة، وتتطلع بشغف بالغ إلى تحصيل هذه الزينة وهذا الترف مهما كانت الوسائل.

وفى هذا الجو المتخم بتفاخر المترفين وحسد المحرومين، تتبعثر القيم، وتتبخر المبادئ، وتشيع الأنانية، والمثال على ذلك واضح تماما فى قصة قارون.

وقد تحقق ذلك كله فى الأمة الإسلامية للأسف الشديد، سواء على مستوى الأفراد، أم على مستوى الشعوب.

إذ وجدت الطبقية وحدث الانقسام داخل المجتمع الواحد بين الطبقة المسرفة فى ترفها، فتملك القصور المنيفة، والسيارات الفارهة، والأموال الطائلة، وتمسك بيدها القرارات والتوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. وبين الطبقة

المعدمة التى تكافح لمجرد الوصول إلى حد العيش الكريم، وأصبح حلم كل شاب أن يصل إلى مستوى الطبقة المترفة دون اعتبار للجانب الأخلاقى.

وعلى المستوى الأعلى بين الشعوب يتكرر المشهد بين شعوب تملك كل شئ، وأخرى لا تملك أى شئ، وقد غاب معنى التكافل الاجتماعى على المستويين.

١٠- فساد وسائل الإعلام:

يعد هذا العنصر من أهم أسباب ضعف الأمة الإسلامية إذ أن للإعـــلام دوره الخطير فى المجتمع إيجاباً أو سلباً.. ومما يثير فى النفس الحســـرة والألم أن وســـائل الإعلام فى البلاد الإسلامية- مقروءة كانت أو مسموعة أو مرئية- قد ســـارت فى ركاب الإعلام العالمى الذى تسيطر عليه الصهيونية والصليبية العالمية، فجعلت أهم وأعظم أهدافها التفنن فى إثارة الغرائز والشهوات، بالبرامج التافهة، والمسلســـلات الفارغة، والأفلام الهابطة، والصور الخليعة... إلخ.. بدعوى التطور ومسايرة العصر.

وبنظرة سريعة إلى أغلب الصحف والمجلات والمحطات الإذاعية والتلفازية، يتبين أنها تجعل كل اهتمامها منصباً على أخبار الفن والفنانين أو الرياضـــة، أو متابعـــة أحدث صيحات الموضة العالمية، وتقديمها إلى المشاهد أو المســـتمع أو القـــارئ، باعتبارهم النجوم اللامعة أصحاب القدوة الصالحة..وفى المقابـــل تتـــوارى بقيـــة المجالات وخاصة المجال العلمى والدينى، حيث لا تعطى لهما إلا مساحة ضـــئيلة لا تكاد تذكر، وفى الوقت نفسه لا روح لها ولا تأثير، حيث أريد للفكـــر الـــدينى بالذات أن يتناول موضوعات محددة، لاصله لها بالواقع الذى يعايشه المسلم، ممـــا يجعلها باهتة ضعيفة التأثير.. إن لم تكن معدومة التأثير أصلا.. وتقديم رجل الدين فى معظم الأفلام والمسلسلات على أنه شخصية هزلية، مع تضـــخيم أى خـــلاف للرأى بين رجال الدين.

نتيجة لهذا الوضع المعكوس، بات المجتمع المسلم فى معظم الدول الإسلامية يغص بالانحرافات الخلقية الناتجة من هذا الطوفان الهائل والإعصار المدمر.

هذه هى أهم أسباب ضعف الأمة الإسلامية على المستوى الجماعى، وبانتهاء الحديث عن أسباب الضعف على المستوى الفردى والجماعى، ينتهى القسم الأول من أسباب ضعف الأمة الإسلامية، وهذا الذى كان خاصاً بالأسباب الداخلية النابعة من داخل أمة المسلمة ذاتها، ومن ثم ننتقل الآن إلى الناحية الثانية وهى الأسباب الخارجية.

ثانيا: الأسباب الخارجية

تحدث القرآن الكريم فى الكثير من آياته عن الحقد والبغضاء والحسد الذى تمتلئ به صدور أعداء هذا الدين، مما يدفعهم إلى مواصلة الليل بالنهار فى الكيد له، ومحاولة القضاء عليه، يقول تعالى: ﴿ **وكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق**﴾ (البقرة: ١٠٩). وفى بيان سبب هذا الحسد المتمكن فى قلوبهم يقول تعالى: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾ (البقرة: ١٢٠) فهذه هى العقدة، وبسببها يدبرون المؤامرة تلو الأخرى، بغية الوصول إلى الهدف الذى تحدثت عنه الآية الأخرى فى قوله تعالى:﴿ **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**﴾ (النساء: ٨٩).

والكفر ملة واحدة، وأعداء الإسلام- رغم الاختلاف السطحى بينهم- يعملون كجبهة واحدة ضد هذا الدين العظيم، يستوى فى ذلك: اليهود والنصارى والشيوعيون والوثنيون...وغيرهم.

وقد سلك هؤلاء فى عداوتهم للإسلام خطين متوازيين: يتمثل الأول فى

المؤامرات الفكرية، ويتمثل الثانى فى المؤامرات السياسية والعسكرية.

والتلازم بين الجانبين (الفكرى والعسكرى) متحقق منذ ظهور الإسلام ومستمر إلى يومنا هذا.

أ ــ المؤامرات الفكرية:

١ ــ الطعن فى الإسلام والتشكيك فيه:

فلقد حاول أعداء الإسلام التشكيك فيه منذ اللحظات الأولى لبزوغ فجره وانبثاق نوره، وليس ببعيد عن الأذهان ما فعله مشركو قريش مع المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ ومع المسلمين.

أما اليهود فقد كانوا لهم الدور الأكبر فى هذا المجال، وليس من قبيل المبالغة أن نؤكد أن اليهود لم يتركوا وسيلة من شأنها تعطيل سير الدعوة الإسلامية إلا ولجوها، ولم تلح لهم بادرة يستطيعون معها الطعن فى الإسلام ونبيه ﴿ﷺ وآله﴾ إلا واستغلوها لصالحهم.

وهذه بعض مسالكهم لكيد الإسلام والمسلمين:

- مسلك المجادلات الدينية والمخاصمات الكلامية.
- تعنتهم فى الأسئلة لإحراج النبى﴿ﷺ وآله﴾.
- محاولاتهم الدس والوقيعة بين المسلمين.
- محاولاتهم رد المسلمين عن دينهم.
- تلاعبهم بأحكام الله تعالى ومحاولاتهم فتنة الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.
- تحالفهم مع المنافقين ضد الإسلام.
- تحالفهم مع المشركين ضد الإسلام.
- إيذاؤهم للرسول ﴿ﷺ وآله﴾ بالقول القبيح.

- استهزاؤهم بالدين وشعائره.
- محاولتهم قتل الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.
(شكراً نتنياهو، للسيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم) ص ١٦،١٧.
والمواقف فى هذا المضمار كثيرة، ولكنها لم تفت فى عضد المجتمع المسلم، ولم تفلح فى تحقيق أهدافها الخبيثة، لأن المجتمع وقتها كان قوى الإيمان، ثابت البنيان.

ثم توالت الأيام والسنون، إلى أن ظهرت الدراسات الاستشراقية، كأسلوب جديد ومنظم للحملة القديمة الهادفة إلى الطعن فى الإسلام والتشكيك فى مبادئه، مستترة هذه المرة خلف شعارات البحث العلمى، المجرد والدراسات الأكاديمية الهادفة، وأصبح اليهود عنصراً أسآسيا فى إطار الحركة الاستشراقية الأوربية النصرانية، ودخلوا الميدان بوصفهم الأوربى لا بوصفهم اليهودى، وقد استطاع (جولد تسهير) وهو يهودى مجرى أن يصبح زعيم علماء الإسلاميات فى أوروبا بلا منازع، ومن آرائه: (إن محمداً نفسه لم يأت بهذا الدين، لا من عند الله ولا من عند نفسه. لقد نقل أغلب أصوله وفروعه من الرومان والفرس واليهود، واستطاع أن يمزج هذه النقول المجلوبة بنفسه ومشاعره، وأن يقتنع بأنه صاحب رسالة لإصلاح العرب الوثنيين، ثم مضى فى طريقه حتى بلغ ما بلغ).

ويفصح (جون تاكلى) عن أسلوب المستشرقين وأهدافهم، حيث يقول: (يجب أن نستخدم كتابهم (أى القرآن)- وهو أمضى سلاح فى الإسلام- ضد الإسلام نفسه، لنقضى عليه تماماً. يجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً).

وفى الإطار ذاته تسير الحركة التنصيرية(التبشيرية) إذا يقول(صموئيل زويمر) رئيس جمعيات التبشير، فى مؤتمر القدس للمبشرين سنة ١٩٣٥م:)إن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية (يقصد الإسلامية) ليست

هى إدخال المسلمين فى المسيحية، فإن فى هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالى لاصلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها، وبذلك تكونوا أنتم طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه، وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا من أجله كل التهنئة) [جذور البلاء، عبد الله التل،ص ٢٧٥،٢٧٦].

وجاء أخطر مؤتمرات التنصير بمدينة (كلن إير) فى ولاية(كولورادو) بأمريكا الشمالية- الولايات المتحدة الأمريكية- فى١٥ من مايو سنة ١٩٧٨م.. حيث خطط وقرر المنصرون فيه شن حرب تنصيرية، لتنصير كل المسلمين، فى أرجاء الدنيا، واقتلاع الإسلام من جذوره، وطى صفحته من هذا الوجود!!

- واتخذوا لذلك خطوات وخطط وبرامج منها:

* تنصير المسلمين من خلال الثقافة الإسلامية :وذلك عن طريق غرس روح المسيح وتعاليمه فى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية، حيث يمكن وجود المسلم النصرانى، واللاهوتى الإسلامى، والمسجد العيسوى.

* تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية.

* تنصير المسلمين بواسطة العمالة المدنية الأجنبية فى بلاد الإسلام.

* تنصير المسلمين عن طريق استغلال كوارثهم المادية: كالفقر والمرض والحروب، وقد تكون معنوية كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعى المتدنى.. وليس بخاف ما يقوم به الصليب الأحمر عند أى كارثة إسلامية.

* التنصير من خلال المرأة والأسرة: حيث يقولون دعونا نعلم المرأة المسلمة كيف تعيش فى سلام من ضغوط السحر، ونقدم المسيح بديلاً نصرانياً للتأثير الشيطانى الذى يهاجم النساء، وخاصة فى المجتمعات الإسلامية، دعونا نقدم لهم

إسلام السحر والشعوذة بدلاً من إسلام القرآن والسنة، إن النساء هى المفتاح لزرع الكتاب المقدس فى المجتمعات الإسلامية، وهذا ما يفسر لنا انتشار ظاهرة الجن والشعوذة فى المجتمع المسلم وخصوصاً عند النساء، وكذلك عقد مؤتمرات عديدة للأسرة والسكان والمرأة على وجه الخصوص.

تعليق: لقد ساعدت الوهابية على انتشار إسلام الدجل والشعوذة كما يريد المنصرون، وذلك بفتحها باب العلاج بالقرآن، وهو من أخطر ما ابتليت به الأمة الإسلامية فى السنوات الأخيرة، لأن القرآن إن عالج فهو حق، وإن لم يعالج فهو باطل، والله سبحانه وتعالى أنزل القرآن ليس للامتحان والاختبار والتجربة، وإنما أنزله لنعمل به فنحل حلاله، ونحرم حرامه، ولا نتعدى حدوده.

* اختراق الشرق الإسلامى من الغرب النصرانى: عن طريق تجنيد منصرين من المسلمين الذين يعملون بالغرب.

أما عن أساليب التنفيذ ومؤسساته فهى كما يلى:

الأسلوب المباشر: عن طريق المنصرين والدراسات الإنجيلية، وهذا الأسلوب لم يجتذب سوى عدد قليل جداً من المسلمين.

الأسلوب الشامل: مثل المدارس والكليات والجامعات الأمريكية- فى القاهرة وبيروت واستانبول- التى فتحت باباً عظيماً للتنصير.. لكنه فقد تأثيره الإيجابى الذى خطط له مؤسسوه، لعيوب فى الإدارة والتوجيه.

الأسلوب غير المباشر أو أسلوب التسلل: عن طريق الكلمة المذاعة، والصورة المرئية، والصفحة المكتوبة،والرسوم المتحركة.. إلخ. وهذا هو المنصر الحاضر دائماً، والقوة الصامتة، وغير المرئية، التى لا تدخل فى أى جدال، ولا تقبل أى اعتذار.. وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير. (استراتيجية التنصير فى العالم الإسلامى- أ.د. محمد عمارة).

وقد قام الشيوعيون أيضاً بدورهم فى هذا المضمار خير قيام، حينما شنوا حرباً فكرية شعواء ضد الدين والمتدينين، على الرغـــم من أن مؤسس الشيوعية يهودى الديانة، وزعموا أن الدين مخدر للشعوب، وبذلوا جهوداً جبارة لنشر الإلحاد.

أما عن آثار هذه الحملات فى المجتمعات الإسلامية،فإنها قد أحـــدثت زلـــزالاً هائلاً، تمثل فى تغير نظرة الكثيرين من المسلمين للإسلام، وحصرهم له فى أضـــيق نطاق ممكن، وقطع أى صلة بالحياة وشئونها وقضاياها.

٢ – بث الفرقة والشحناء وإثارة النعرات القومية والعنصرية:

هذه أيضاً من المؤامرات القديمة التى اتخذت فيما بعد شكلاً جديداً.. فقد فعلها اليهود، حينما مر أحد أحبارهم وهو شاس بن قيس على نفر من أصحاب الـــنبى ﴿ﷺ وآله﴾، من الأوس والخزرج، فغاظه ما رأى من المودة والألفة والمحبة بينهم فى ظل الإسلام، فأمر فتى شاباً من اليهود وقال له: اعمد إليهم واجلـــس معهـــم، ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله (وهو يوم حدثت فيه معركة كـــبرى بـــين الأوس والخزرج)، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار.. ونجـــح اليهـــودى اللعين فى إيغار صدور القوم، وإيقاد نيران الفتنة فى صفوفهم، حتى كادت الحـــرب تشتعل بينهم من جديد، لولا تدخل النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فى اللحظة المناسبة.

وفعلها النصارى أيضاً، ففى قصة كعب بن مالك ﵁، وتخلفه عن غزوة تبوك، والمحنة الشديدة التى مر بها بعد أن أمر النبى الكريم ﴿ﷺ وآله﴾ جميـــع أصـــحابه بمقاطعة كعب ومن معه من المتخلفين عن الغزوة مقاطعة تامة، حتى لقد ضـــاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم.. فى هذه المحنة القاسية يلعـــب الكيد الصليبى دوره بمهارة فائقة، فقد بادر ملك غسان النصرانى بإرسال رســـول خاص، حمّله رسالة إلى كعب يقول فيها: أما بعد، فإنه قد بلغنى أن صاحبك قـــد

جفاك، و لم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.

وقد واصل اليهود والصليبيون مسيرهم فى هذا الميدان، وانضم الشيوعيون فيما بعد إلى ركابهم، فنشروا أسباب الفرقة والشحناء داخل المجتمعات المسلمة:

* فكانت البداية متمثلة فى ترويج الإشاعات والأخبار الكاذبة عن تعرض الأقليات غير المسلمة للاضطهاد والتعذيب، ودفع هذه الطوائف إلى الثورة وإثارة الفتن والاضطرابات، بغية إتاحة الفرصة للدول الصليبية، للتدخل المباشر، بحجة حماية الطوائف المضطهدة، وهذا هو الدور الذى ورثته أمريكا فى أيامنا هذه.

* ثم كانت الخطوة الثانية فى تقديم القومية العربية كبديل للوحدة الإسلامية، بزعم أن الدين لا يصلح كأساس لوحدة العرب، لوجود أقليات غير مسلمة داخل كثير من الدول العربية، بخلاف العروبة التى هى الراية التى ينضوى الجميع تحت لوائها.

وقد استجاب نفر من المسلمين لهذه الفكرة القومية العربية كبديل للوحدة الإسلامية، إلى الحد الذى يجعل أحد رواد القومية العربية ويدعى (على ناصر الدين) يقول: (القومية بالنسبة لنا- نحن القوميين العرب- دين له جنته وناره، ولكن فى الدنيا).

ويجعل (عمر فاخورى) نهضة العرب متوقفة على الإيمان العميق بالقومية العربية، فيقول: (لاينهض العرب حتى تصبح القومية أو المبدأ العربى ديناً يغارون عليه، كما يغار المسلمون على القرآن الكريم، والمسيحيون على الإنجيل الرحيم).

أما (عبد الحميد الزهراوى) فتبلغ به الجرأة والوقاحة حداً يجعله يعتبر الرابطة الإيمانية لا تصلح أساساً للوحدة السياسية فيقول فيما سمى (المؤتمر العربى الأول) الذى عقد فى باريس عام ١٩١٣م: (إن الرابطة الدينية قد عجزت تماماً عن إيجاد الوحدة السياسية).. والمقصود من فكرة القومية العربية هو إحداث شرخ فى جدار

الوحدة الإسلامية.

* وكانت الخطوة الثالثة فى إحياء العنصرية والشعوبية القديمة، كبعث الفرعونية فى مصر، والفينيقية فى بلاد الشام، والآشورية فى العراق، والفارسية فى إيران، والطورانية فى تركيا، والبربرية فى بلاد المغرب العربى...إلخ.

كل هذا بهدف المزيد من التفتت والتجزئة للعالم الإسلامى، وتغليب الترعة الإقليمية المحلية، على نزعة الجامعة أو الرابطة الإسلامية الواحدة.

* وبعد نجاحهم فى تثبيت مبدأ الإقليمية، كانت الخطوة الأخيرة- وليست الآخرة- بإثارة الفتن والقلاقل الطائفية والعنصرية داخل الوطن أو الإقليم الواحد، مثلما حدث ويحدث فى لبنان، وجنوب السودان، والجزائر، والصومال، والعراق، وأفغانستان... إلخ.

٣- إسقاط الخلافة الإسلامية:

كان أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والشيوعيين، ينظرون إلى الخلافة الإسلامية باعتبارها رمزاً لوحدة الأمة الإسلامية، وراية يمكن الالتفاف حولها فى أى وقت، رغم أنها لم تكن سوى خلافه اسمية، بعد الضربات المتلاحقة والموجعة عن جانب هؤلاء الأعداء، والتى أدت إلى تفتيت أراضى الخلافة العثمانية، ووقع أغلبها فى براثن الاحتلال الصليبى اليهودى من جهة، والاحتلال الشيوعى من جهة أخرى. ومع هذا، واصل الأعداء جهودهم الحثيثة، وجهزوا خططهم الخبيثة، للقضاء على الرمق الأخير فى حياة الخلافة الإسلامية.. وعن طريق المحافل الماسونية والجمعيات السرية استطاعوا الوصول إلى المراكز الكبرى والمناصب العليا فى دولة الخلافة، ومن هناك تمكنوا من إدارة دفة الأمور بما يتواءم ومطامعهم ومؤامراتهم.. يقول السلطان عبد الحميد آحد الخلفاء العثمانيين فى مذكراته: (كان جدى

السلطان سليم خان يصيح قائلاً: "إن أيدى الأجانب تسير متنزهة فوق كبـــدى". وكنت أحس أنا أيضاً بأيدى هؤلاء الأجانب، ليست فوق كبدى وإنما فى داخله. إنهم يشترون صدورى العظام (أى رؤساء الحكومات) ووزرائى ويستخدمونهم ضد بلادى). (مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة: محمد حـــرب عبـــد الحميـــد، ص٧٥).

وقد كان السلطان عبد الحميد محقاً فى ذلك تماماً، فلقد كان مدحت باشا من هؤلاء الذين استطاعت الماسونية تجنيدهم لحسابها، فمن خلال منصبه كصدر أعظم (أى رئيس للوزراء) كان يثير الفتن والقلاقل، ويعمل على إحياء القومية التركيـــة القديمة (الطورانية)، وإثارة الأحقاد بين الأتراك وسائر الشعوب الأخرى المنضـــوية تحت لواء الخلافة، وخاصة العرب.. كما سار على دربه مصطفى كمال أتـــاتورك أحد يهود الدونمة، الذين أظهروا الإسلام خداعاً ونفاقـــاً، لتســـهيل مهمتـــهم فى الإجهاز على دولة الخلافة الإسلامية.

وبالفعل، قام أتاتورك بمهمته خير قيام حين أصدر القـــوانين المرقمـــة ب٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١ وهى تقضى بإلغاء الخلافة، وطرد الخليفة وأسرته خارج البلاد، وإلغاء وزارة الأوقاف، وإلغاء جميع المدارس الدينية، وإعلان علمانية الدولة التركية.

يقول السلطان عبد الحميد: (لا بد للتاريخ يوماً أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم (الأتراك الشبان) أو (تركيا الفتاة) وعن ما سونيتهم.. استطعت أن أعرف من تحقيقاتى أن كلهم تقريباً من الماســـون، وأنهم منتسبون إلى المحفـــل الماســـونى الإنجليزى، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل.. ولا بد للتاريخ أن يفصـــح عن هذه المعونات، وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية؟!) المرجـــع الســـابق ص٤٩.

وهكذا تكاتفت قوى الشر الثلاثة فى العصر الحديث (اليهوديـــة- الصـــليبية-

الشيوعية) وأفلحت فى إسقاط دولة الخلافة.. هذا السقوط الذى كان أسوأ الآثار، وأوخم العواقب على أمة الإسلام، حيث أصبحت دولاً كثيرة متشعبة، بعد أن كانت دولة واحدة، تحت قيادة خليفة واحد، وأصبح المسلمون فى أنحاء العالم كالأيتام على موائد اللئام، لا وزن لهم ولا تأثير، ويراق الدم المسلم جهاراً نهاراً دون حسيب أو رقيب.

يكشف الإمام المجدد (السيد محمد ماضى أبو العزائم) رضى الله عنه فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى) ص١١٢ عن خطر إلغاء الخلافة فيقول: (إن ما أصاب المجتمع الإنسانى إنما هو من الإهمال فى القيام بواجب الخلافة العظمى، لأن الخليفة يمثل مقام النبوة، وهو قلب الجسد الإسلامى الذى يدير الجسم والجوارح، وبفقده يختل نظام الجسد. والخليفة فى الحقيقة هو المسيطر على الروح والجسم بتنفيذ أحكام القرآن والسنة، وهو الإمام العدل، وما تمكن الأعداء من المسلمين إلا بفقد هذا الركن المهم، أو بعدم قيامه بما يجب عليه للمسلمين، وإهمالهم فيما يجب عليهم له.. وجسم يفقد قلبه كيف تصح له الحياة؟ وإليك تحقيق هذا الموضوع: كان المسلمون أصحاب الطول والحول والقوة والمنعة، وكان العالم بأجمعه أتباعاً لهم، وكان هذا القلب قائماً بما يجب عليه، حتى ضعف الخليفة بخروجه عن حدود الشريعة، واتخاذه أهل الغواية والطمع أعواناً، فمرض المجتمع الإسلامى بالتفرقة والاختلاف، مرضاً مكن منه العدو الضعيف، إلى أن صارت الحال كما ترى من احتلال الأعداء، أو استعبادهم أكثر الأمم الإسلامية، أو استبدال المسلمين بغيرهم، كما حصل فى الأندلس وغيرها، أو بخروج بعض الأمم الإسلامية على بعض كما حصل بين الحجاز وسوريا وفلسطين والعراق بخروج حسين بن على وأولاده على دولة الخلافة، وما اعتور المجتمع الإسلامى من خروج بعض من ولدوا فى زمان انتشار العهارة، فإنهم نشروا الجحود، ومنهم من تنصر ودعا للنصرانية، ومنهم من

مرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية، نجد سبب ذلك كله فقد الإمام القائم لإعلاء كلمة الله، وإن المسلمين يجب عليهم أن يتداركوا الأمر بالعمـــل لعـــودة الخلافة ليعود لنا مجد سلفنا).أ.هـــ.

ب- المؤامرات السياسية والعسكرية:

اتخذ هذا الجانب صوراً متعددة، منذ ظهور الإسلام وحتى وقتنا هـــذا، فلقـــد كانت محاولات مشركى العرب البداية الأولى والصورة البدائية لهذه المؤامرات، مع محاولتهم قتل النبى ﴿ﷺ وآله﴾ ليلة الهجرة المباركة، إلى حروهم الكثيرة مع الفئـــة المسلمة الصابرة فى بدر وأحد والأحزاب... وغيرها.

أما اليهود والنصارى فلهم فى هذا المضمار باع طويل وقدم راسخة، فـــاليهود حاولوا مراراً وتكراراً اغتيال النبى﴿ﷺ وآله﴾ ولكن الله تعالى عصم نبيه ﴿ﷺ وآله﴾ منهم. بالإضافة إلى نقضهم العهد فى أحلك الظروف وأقصى الأزمات أثناء غزوة الخندق.

أما النصارى فقد تمثلت بداية مؤامراهم العسكرية فى جريمة الحارث بن أبى شمر الغسانى حينما قتل الحارث بن عمير الأزدى- رضي الله عنه - رســـول رســـول الله ﴿ﷺ وآله﴾، مما كان سبباً فى غزوة مؤتة.. ثم استمرت المؤامرات فى عهد الـــنبى ﴿ﷺ وآله﴾، إلى أن كانت الفتوحات الإسلامية العظيمة فى عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وفى العهدين الأموى والعباسى، فانتشر نور الإســـلام فى أغلـــب بقـــاع الأرض، وتقهقرت النصرانية، وفقدت الكثير من أراضيها.

وظل الصليبيون يتحينون الفرصة للانقضاض على المسلمين، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك طوال فترة قوة الدولة الإسلامية ووحدها، إلى أن بدأ الضعف والتفكـــك يعملان عملهما فى الدولة الإسلامية، فانتهز الصليبيون الفرصة، وتوجهـــوا بكـــل

قواهم ناحية الشرق الإسلامى فى محاولة لاستعادة ما فقدوه إبان المد الإسلامى.

(١)- الحملات الصليبية القديمة:

استمرت هذه الحملات قرابة قرنين من الزمان (٤٩٠: ٦٦٩هـ- ١٠٩٦: ١٢٧٠م) ونجح الصليبيون فى البداية فى احتلال بعض بلاد الشام وتكوين إمارات صليبية بها، إلى أن تمكن القائد المسلم الكردى العظيم الناصر صلاح الدين من القضاء عليها وطردهم منها.. وتابع خلفاؤه المسيرة من بعده، فأنزلوا بالصليبيين هزائم ساحقة، كان لها الأثر الأكبر فى انحسار هذه الموجة الأولى من الحملات الصليبية.

ولكن هذه الحملات- رغم فشلها- فقد تسببت فى استنزاف خيرات الأمة الإسلامية ومواردها خلال هذه الملحمة الطويلة من الكفاح والجهاد المتواصل.

(٢)- الاجتياح التترى للعالم الإسلامى:

لم يكد المسلمون يفيقون من هول الحملات الصليبية حتى نكبوا بالاجتياح التترى الهائل، الذى كان كارثة مروعة، لم يواجه المسلمون فى تاريخهم مثلها على الإطلاق، ففى سنة واحدة هى سنة ٦١٦هـ- ١٢١٩م سقطت معظم بلاد الإسلام بأيديهم، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً، لا يحصى عددهم إلا خالقهم، كما نهب التتار كل ما وقع تحت أيديهم من ثروات، وخربوا البلاد وأحرقوها، ودمروا الكثير منها تدميراً.

ومن الأمور المبهمة هنا أنه فى الوقت الذى بدأ فيه التتار حملتهم على المسلمين، عاود الصليبيون- الذين تحركهم الأصابع اليهودية فى أوربا- هجومهم على الإسلام، حيث قاموا بحملة على مصر، ونجحوا فى احتلال دمياط، مما يؤكد تعاون الفريقين الكافرين فى مؤامراتهما الدينية ضد الإسلام والمسلمين.

فهذا دليل على أن الصليبيين لم يقوموا بحملتهم فى هذا التوقيت اعتباطاً أو مجرد مصادفة، بل كان الفريقان متعاونين، بهدف منع سلطان مصر من تقديم المعونة للخليفة فى بغداد، لمواجهة الزحف المغولى الكاسح.

ومن أدلة التواطؤ بين الفريقين أيضاً، أن حاكم دمشق التترى (إبل سيان) اجتمع بالقساوسة والأساقفة، وزار الكنائس، وأعطى للنصارى الفرصة أن تكون لهم دولة وصولة، فعاثوا فى الأرض فساداً، وأخذوا يطوفون فى الشوارع وهم يسبون الإسلام والمسلمين، ويقولون: ظهر الدين الصحيح دين المسيح.

ويضاف إلى ذلك أيضاً أن الجيش الذى أرسله ملك التتار بعد هولاكو (ابنه أبغا) إلى مدينة البيرة (إحدى مدن الشام) كان يضم بين صفوفه خمسة عشر ألفاً من الروم الصليبيين. (أسباب الضعف فى الأمة الإسلامية. د. محمد السيد الوكيل، ص٢٠٢-٢٢٩).

ومن هنا يتبين بوضوح مدى تكاتف أعداء الإسلام، وتآزرهم ضد هذا الدين العظيم.. ولكن الله من ورائهم محيط، فلقد اقتضت حكمته تبارك وتعالى أن تحدث المعجزة الكبرى باعتناق التتار للإسلام، وأصبحوا منذ ذلك الحين من جنوده المخلصين.

(٣)- الحملات الصليبية الجديدة (الغزو الاستعمارى):

واصل الصليبيون حملاتهم على الشرق الإسلامى على يد أسبانيا والبرتغال، ولكن هذه الحملات اتخذت شكلاً جديداً وأسلوباً مستحدثاً على يد فرنسا وإنجلترا منذ نهايات القرن الثامن عشر الميلادى، حيث إنهم قد استفادوا من دروس الحملات الصليبية القديمة، وعلموا أنها قد منيت بالفشل الذريع بسبب روح الإيمان والجهاد والوحدة التى كانت تدب فى أوصال البدن الإسلامى بمجرد استشعار

الخطر الصليبى المحدق، فعمل هؤلاء على إخماد جذوة الإيمان والجهاد المتقدة فى قلوب المسلمين.

وكانت وسيلتهم الأولى لتحقيق هذا الغرض متمثلة فى إخفاء الدافع الصليبى وراء هذه الحملات، بل ولجأوا إلى الخداع والتضليل، كما فعل (نابليون بونابرت) الذى قاد الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، حينما أصدر بياناً وجهه إلى المصريين فى أعقاب احتلاله للإسكندرية قال فيه: (أيها المصريون.. قد قيل لكم: إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين: إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإننى أكثر من المماليك، أعبد الله تعالى، وأحترم نبيه والقرآن العظيم. وقولوا لهم أيضاً، إن الجميع متساوون عند الله، وإن الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم). (تاريخ الجبرتى عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ٣/٦٠٥).

ولكن المقاومة العنيفة والثورات المتواصلة أنهكت قوى المستعمر الفرنسى، فقام بزرع أعوان له فى بلاد الإسلام لتنفيذ مخططاته الرامية إلى هدم الإسلام والقضاء على المسلمين، وليس أدل على هذا المعنى من تلك الفقرة التى أوردها الأستاذ محمود محمد شاكر فى كتابه (من خطاب نابليون بعد رحيله عن مصر إلى خليفته كليبر: (اجتهد فى جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخص من المماليك، حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم فى القاهرة أو الأرياف وتسفرهم إلى فرنسا، وإذا لم تجد عدداً كافياً من المماليك، فاستعض عنهم برهائن من العرب ومشايخ البلدان، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يحجزون مدة سنة أو سنتين، يشاهدون فى أثنائها عظمة الأمة الفرنسية، ويعتادون تقاليدنا ولغتنا، وعندما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم).

ومضمون الرسالة غنى عن الشرح والتعليق، فالمطلوب هو الإفساد، والابتعاد

عن الهوية، وتكوين حزب من الأتباع والخونة لدينهم ووطنهم، يعاونه علىتغيير عادات وتقاليد البلاد.. حتى رأينا من يطالب بالاحتفال بالاستعمار الفرنسى لمصر. وعاد المستعمرون مرة أخرى وأخرى، وكان الفارق الكبير فى القوة العسكرية لصالحهم، الأمر الذى أدى إلى وقوع معظم البلدان الإسلامية فى براثن الاستعمار الصليبى: البريطانى، والفرنسى، والهولندى، والأسبانى، والبرتغالى، والروسى الصليبى ثم الشيوعى.

ومن خلال سيطرتهم على مقاليد الأمور فى البلدان الإسلامية، أخذ الصليبيون يعملون جاهدين على محو الهوية الحضارية الإسلامية فى نفوس المسلمين، عن طريق فرض القيم والممارسات الغربية العلمانية فى مختلف جوانب الحياة الإسلامية : فى السياسة ونظام الحكم، وفى التعليم، والاقتصاد، والقوانين المدنية والجنائية، والأعراف الاجتماعية.. إلخ.. مما أدى إلى أسوأ الآثار على المجتمعات الإسلامية.. وترتب عليه كثير من النتائج الأليمة، من أهمها:

أ – تقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات متناحرة:

اجتمع الأعداء عام ١٩١٧م وعقدوا اتفاقية (سايكس بيكو) والتى تقضى بتقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات صغيرة، ثم فى عام ١٩٢٤ نجحوا فى القضاء على الرمز الذى يجمع المسلمين تحت راية واحدة، ألا وهو الخلافة الإسلامية، وترتب على ذلك تقسيم الأمة الإسلامية إلى كيانات صغيرة، ليس ذلك وفقط، بل تعمد الاستعمار إبقاء فتيل النزاع بين هذه الدويلات قابلاً للاشتعال فى أية لحظة، من خلال الصراعات الحدودية بين معظم الأقطار الإسلامية.

ب – زرع الكيان الصهيونى فى قلب الأمة الإسلامية:

تكاتف الصليبيون والشيوعيون لتحقيق الحلم الصهيونى القديم بتكوين دولة لهم

فى فلسطين:

* ففى الجانب الصليبى كانت إنجلترا هى الدولة العظمى التى احتضنت المشروع الصهيونى وتبنته رسمياً، وأصدر أرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا فى ١٩١٧/١١/٢ م وعده بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين.

وفى زيارة قام بها (ونستون تشرشل) إلى فلسطين عام ١٩٢١م- وكان يشغل منصب وزير الحرب والطيران- قابله فيها (برنارد باروخ) إذ قال: (أنا صهيونى، وقد عملت من أجل تقدم الصهيونية).

وفى لقائه مع وفد من المسلمين فى فلسطين قال: (نحن نعتقد أنه (أى وعد بلفور) لخير العالم واليهود والإمبراطورية البريطانية والعرب أنفسهم أيضاً.. نحن ننوى أن نحقق هذا الوعد).

أما على الجانب الشيوعى، فلقد كان الاتحاد السوفيتى (سابقاً) أول دولة فى العالم تعترف بالكيان اليهودى الغاصب، بعد إعلان قيام دولته على أرض فلسطين فى ١٩٤٨/٥/١٥م، وقد ألقى المندوب السوفيتى فى مجلس الأمن (أندريه جروميكو) الذى أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية خطاباً فى ١٩٤٨/٥/٢٩م قال فيه: (من حق الدولة اليهودية الجديدة أن تفعل ما تشاء فى مسألة الهجرة إليها.. إن الدولة اليهودية حقيقة قانونية نعترف بها، وليس لمجلس الأمن أن يفرض عليها أموراً ليست من اختصاص الأمم المتحدة أصلاً، بل هى من صميم الحق الداخلى للدولة المستقلة، وحتى لو اتخذ مجلس الأمن هذا القرار (بمنع الهجرة إلى فلسطين) فسيظل حبراً على ورق وكلاماً أجوفاً) (التاريخ السرى للعلاقات الشيوعية الصهيونية، نهاد الغادرى، ص١٢٨).

يضاف إلى ذلك الدعم المعنوى: هو ما قامت به الكتلة الشيوعية من دعم معنوى هائل، تمثل فى تدريب الآلاف من الشبان اليهود عسكرياً، وإرسالهم إلى

فلسطين لمساعدة إخوانهم الصهاينة فى قتل وتشريد الشعب الفلسطينى المسلم- وقد بلغ عدد هؤلاء- طبقاً للمصادر الصهيونية ذاتها- ٢٠ ألف شخص، قدموا من تشيكوسلوفاكيا، وبولندا، ورومانيا، وبلغاريا.. بالإضافة إلى كميات هائلة من الأسلحة المتقدمة) (المرجع السابق ص٩٠).

* أما فى الوقت الحاضر فتولت أمريكا حضانة هذه الدولة الصهيونية اللقيطة، واحتضنتها سيآسيا وعسكرياً ومادياً ومعنوياً، حيث استخدمت أمريكا حق الفيتو ٢١ مرة فى مجلس الأمن من تاريخ ١٩٧٢/٩/١٠م حتى نهاية مارس ١٩٩٨م لمصلحة الدولة الصهيونية، وفتحت ترسانة الأسلحة العسكرية وخزائن الأموال على مصراعيها لإسرائيل، وأمدتها بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية فى حين أنها تحظر على أية دولة إسلامية امتلاك مثل هذه الأسلحة، اللهم إلا باكستان وإيران، والأولى سياستها موالية لأمريكا، والثانية هى أمل الأمة الإسلامية.

* والشىء العجيب والمحير والمخجل أن الوجود الصهيونى لم يعد يحظى بتأييد ومباركة الدول الصليبية والمنظمات الدولية فحسب، بل إن كثيراً من الدول الإسلامية باتت تعترف بهذا الوجود المتمثل فى كيان غاصب يسمى إسرائيل.

وليت الأمر اقتصر على مجرد الاعتراف، فالمصيبة العظمى والداهية الكبرى أن تيمم هذا الدول الإسلامية وجهها شطر الدولة الصهيونية تخطب ودها، وتنشد رضاها.. وتتهم من يطالب بتحرير الأرض بأنه متخلف ورجعى، وتائه فى غيبوبة كاملة، ويبنى قلاعاً من الرمال.

ومما سبق يتبين مدى تواطؤ أجنحة المكر الأربعة فى القرن العشرين (اليهود- الصليبيون- الشيوعيون- خونة الإسلام) لاقتطاع فلسطين من جسد الأمة الإسلامية، وزرع الكيان اليهودى فى قلب العالم الإسلامى، والفصل بين أرضه فى أفريقيا وآسيا.

ح- فرض العلمانية والمادية فى الدول الإسلامية:

بذل الاستعمار جهوداً مضنية لفرض توجهاته المادية، وأفكاره العلمانية الإلحادية على المجتمعات الإسلامية:

ففى الناحية السياسية: نجح العلمانيون فى تمكين الفكرة القائمة على فصل الدين عن الدولة، وإبعاد الدين عن السياسة.

وفى الناحية الاقتصادية: أصبح التعامل الربوى هو الأساس، بحجة أن الأمة الإسلامية جزء من الاقتصاد العالمى، تتأثر به ولا تؤثر فيه، وبزعم أن الإسلام مجرد مجموعة من المبادىء المثالية الروحانية، ولا علاقة له بالحياة وشئونها.

وفى الناحية الاجتماعية: أفلح العلمانيون فى نشر السفور والاختلاط دون حدود أو قيود، وتحت ستار زائف من شعارات الحرية والمساواة نجحوا فى السيطرة على المرأة المسلمة سيطرة شبه تامة، لتحقيق هدفهم النهائى بتقويض أركان الأسرة المسلمة.

وفى المجال التعليمى: تمكن العلمانيون من السيطرة على المناهج التعليمية، فجعلوها تتوافق مع التوجه الإلحادى، لتنقطع الصلة تماماً بين الجيل المسلم الجديد، وتراث أمته الإسلامية الزاخر، وتاريخها المجيد.

وفى المجال الإعلامى: تمكن العلمانى الخبيث من امتلاك ناصية وسائل الإعلام المختلفة، وتسخيرها لخدمة أهدافه، من خلال التركيز على النعرة القومية، والتفنن فى إثارة الغرائز، وإشاعة الانحلال الخلقى فى المجتمعات المسلمة.

د- إبادة الأقليات المسلمة:

هذه الأقليات موجودة فى جميع أنحاء العالم، وإن اختلفت من ناحية العدد من قارة إلى قارة:

* ففى آسيا يوجد ٢٦٠ مليون مسلم [أغلبها فى الصين والهند حــوالى٢٣٠ مليون].

* وفى أفريقيا يوجد أقليات غير محددة العــدد فى زائير، وزمبابوى، ومالاوى، وبوروندى، وزامبيا، وأنجولا، وناميبيا، وجنوب أفريقيا، وغانا، وليبريــا، وكينيــا، وأوغندا.

* وفى أوربا يوجد حوالى ٢٥ مليون مسلم.

* وفى الأمريكتين يوجد حولى ٨ ملايين مسلم.

* وفى جزر المحيط الهندى والهادى واستراليا وفيجــى توجد أقليــات تقــدر ب٢٥٥ ألف مسلم.

والسؤال الآن كيف تعامل هذه الأقليات ؟

* فى أفريقيا مثال من الحبشة: يوجد فى الحبشة أو ما يعرف باسم أثيوبيــا الآن ٧٥% من السكان من المسلمين، و لم تخل مرحلة من مراحل التاريخ الحديث مــن عمليات الإبادة والتصفية، وقد بلغت ذروتها فى عهد هيلاسلاسى.

وفى زنجبار: تمت تصفية المسلمين العرب تصفية شبه كاملة، وقتل فى ثلاثة أيام حولى ٣٥ ألف مسلم ما بين رجل وطفل وامرأة على أيدى لص دجاج هارب من حكم بالسجن عليه فى أوغندا اسمه (جون أوكيلو).

* فى آسيا مثال فى الهند: عند تأسيس دولة باكستان خرج ثمانية ملايين مســلم من دلهى وبعض أقسام البنجاب لباكستان لم يصل منهم إلا ثلاثــة ملايــين، و لم يعرف مصير الخمسة الأخرى حتى الآن.

- وقامت جمعية (راشتر ياسويك سنغ) الهندوسية بإبادة المسلمين إبادة تامة فى ولايات بهرات بور، والوار، وكابو رتالا، وكان عددهم فى هذه الولايات علــى التوالى هو: ١١٠ ألف، ٢٥٠ ألف، ٢١٣٧٠٤ فلم يعد أحد منهم يرى النور.

– وبلغ عدد قتلى المسلمين خلال المذابح التى جرت فى شـــرقى البنجـــاب فى أغسطس ١٩٤٧م وفقاً لتعداد رسمى، ٤٧٢ ألف مسلم.

– وعندما اجتاحت القوات الهندية باكستان الشرقية (بنجلاديش الآن) فى عام ١٩٧١م قامت بما يأتى:

* قتل وسجن آلاف العلماء وأساتذة الجامعات والطلاب.

* قتل ¼ مليون مسلم هندى كانوا قد هاجروا من الهند إلى باكستان الشرقية قبل بدء الحرب.

* سرقة ٣٠ مليون روبية من أموال الناس والبنوك.

– ومن أعجب الأشياء أن معظم قواد الجيش الهندى الذين قاموا بهذا العمـــل الإجرامى كانوا من اليهود.

– منذ يناير ١٩٩١/ وحتى يناير ١٩٩٢ قتل من المسلمين فى الهند أكثر من ٢٠ ألف بين رجل وامرأة وطفل.

* قبض على ٧٠ ألف من الرجال والنساء.

* قبض على ابن الشاعر الكشميرى مشتاق ثم ألقى به فى زيت مغلى وهو حى.

* حرقوا ٤١٨ مسلماً بالنار، وحرق الجيش الهندى مدرسة ابتدائية بمن فيها من التلاميذ، استشهد منهم ٢٠٠ تلميذ.

* حرقوا ٢٠ ألف منزل.

* فى قرية (دوكنن باسيواه) تم هتك عرض ١٠٠ امرأة مسلمة، من بينهن طفلة عمرها ٧ سنوات، وعجوز ٨٥ سنة.

وفى كمبوديا: قتلت عصابات الخمير الحمر الشيوعية نصف مليون مسلم، دون أن يتحرك تجاه هذه المذبحة صوت يعترض أو قلب ينبض.

وفى الفليبين: هناك عصابة اسمها (عصابة الفيران المتوحشة) تديرها الكنيسة، وقد حددت تسعيرة خاصة لأعضاء جسم أى مسلم:

- ١٠٠دولار لفقء عين أى مسلم.
- ٥٠ دولاراً لجدع أنفه.
- ٥٠ دولاراً لقطع أذنه.

وفى تايلاند: يعيش عشرة ملايين، تمارس الحكومة ضدهم أبشع عمليات القهر والتعسف.

وفى بورما: تم طرد حوالى أربعة ملايين مسلم من أرضهم فى إقليم أراكان إلى دولة بنجلاديش، مع تعرض الكثير منهم للذبح والاغتصاب، وذلك فى ٧ رمضان ١٤١٢هـ الموافق ١١ مارس ١٩٩٢م.. بينما العالم الإسلامى يتفرج.

وفى الصين: تم القضاء على ٢٦ مليوناً من المسلمين فى ٢٥ سنة بدولة تركستان الشرقية الإسلامية، أى: بمعدل مليون مسلم سنوياً.

* وفى أوربا نموذج من اليونان:

- لا يسمح لأى مسلم بالعمل فى الحكومة مهما كانت مؤهلاته.
- مصادرة أملاك المسلمين وأوقافهم.
- منع بناء المساجد، وتحويل المساجد القديمة إلى كاباريهات وملاهى، مثل مسجد (البالاكا) فى أثينا، أو إلى كنائس كما حدث فى سالانيك.
- إذا طلب مسلم يونانى تأشيرة خروج للسفر، فإنه لا يسمح له بالعودة إلى اليونان مرة أخرى
- صرح الجنرال اليونانى (زوخوس الفتيريوس) بأنه لا بقاء فوق أرض اليونان إلا لمن يعلق الصليب فى عنقه فقط.

فى فرنسا: يوجد ٤ ملايين مسلم يتعرضون لخطر طردهم، بعد عقد تحالف بين

الكنيسة وحزب الجبهة الوطنية، وغاية هذا الحلف هو طرد كل مسلم أو عربى من فرنسا.

وفى بريطانيا: يوجد حوالى ٢ مليون مسلم، يعملون بهمة ونشاط فى بناء المساجد، وقد فزعت بعض الدوائر من كثرة بناء المساجد، فلما قيل لهم: إن أولادهم يتعلمون فى المدارس الحكومية، قالوا: إن الآباء يبنون المساجد، وسيقوم الأبناء بهدم هذه المساجد فى مرحلة قادمة.

* وهذه الحقيقة البشعة هى التى تخطط لها الدوائر التنصيرية لاقتلاع الإسلام من قلوب الأجيال التالية.. فى بلاد الحضارة الغربية.

وتبقى المشكلة الكبرى للأقليات المسلمة وهى:

مشكلة التعليم والتربية والحفاظ على العقيدة والهوية.. إن هذه المشكلة لم تجد لها علاجاً حتى هذا اليوم.

وفى ألمانيا: يوجد حوالى ٣ ملايين مسلم، وقد شهد عام ١٩٩٢م وحده أكثر من ١٩٠٠ اعتداء على مسلمين وخصوصاً الأتراك. وعندما زار البابا ألمانيا فزع من الإحصائيات الخاصة بأعداد المسلمين، فلما قيل له: إنهم يعلمون أولادهم فى مدارسنا.. قال: إذن أطمئن..! (عرب ومسلمون للبيع، أ. د. عبد الودود شلبى ص ١٤٩ – ١٦٢).

هـ– أمريكا تقود الصليبية والصهيونية والوثنية ضد المسلمين:

فى أقل من عشر سنوات فى نهاية القرن العشرين فعل الصليبيون والصهاينة والوثنيون بالأمة الإسلامية ما لم يستطيعوا فعله من قبل.. ففى عام ١٩٩١ قاموا بحرب إبادة لشعب البوسنة والهرسك الأعزل، فقتلوا ٧٠٠ ألف مسلم، وشردوا ٣,٥ مليون، وهتكوا عرض ٦٠ ألف امرأة مسلمة.

وضربوا العراق بكل ما آتاهم الله من قوة للقضاء عليه وتجزئته وتقطيع أوصاله، فقتلوا مئات الألوف من المسلمين، واحتلوا آبار البترول فى الخليج.

وفى عام ١٩٩٢م حاصروا الشعب الليبى بتهمة باطلة لمدة سبع سنوات. وفى أكتوبر من العام نفسه قتلوا ١٣ ألف صومالى تحت اسم إعادة الأمل، مع دفن النفايات السامة والنووية فى أرضه.

وفى عام ١٩٩٤م بدأت حرب إبادة ضد شعب الشيشان المسلم، فقتلوا ١٢٠ ألف شخص من إجمالى عدد السكان البالغ مليون مسلم.

وفى عام ١٩٩٨م زادت جرأتهم على العالم الإسلامى- الذى ما كانوا يحلمون فى عهد سلفنا الصالح أن ينظروا إلى مسلم نظرة تؤذيه فضلاً عن أن يقتلوه- فقاموا بحرب إبادة لشعب كوسوفا المسلم، فقتلوا آلاف المسلمين، وشردوا ما يزيد عن مليون مسلم.

وقامت أمريكا فى عام ١٩٩٨ أيضاً بضرب السودان وأفغانستان فى ١٩٩٨/٨/١٩م فقتلوا ٣٨١ مسلماً، وفى نهاية العام نفسه ضربوا العراق فى ١٩٩٨/١٢/١٦م فقتلوا ما يزيد عن عشرة آلاف مسلم.

وخلال السنوات الخمسة عشرة بين ١٩٨٠ - ١٩٩٥م، وطبقاً لبيانات وزارة الدفاع الأمريكية، شاركت الولايات المتحدة فى ١٧ عملية فى الشرق الأوسط كانت كلها موجهة ضد المسلمين. وأخيراً فى نهاية مارس ١٩٩٩م اتفق حلف الناتو بقيادة أمريكا مع جزار الصرب ميلوسوفيتش على تمثيلية، يقوم الناتو بضرب بعض الأهداف الصربية كدعاية إعلامية فقط، على أن يتولى الصرب قتل وطرد سكان كوسوفا من الإقليم، وقد قام الجميع بدوره خير قيام، ثم تتولى دول حلف الناتو توزيع ما يستطيعون توزيعه من سكان كوسوفا الهاربين عليها، حتى لا يعودوا مطلقاً إلى ديارهم.. وقد أظهرت أمريكا رحمتها بالمسلمين حين أعلنت

وزيرة خارجيتها اليهودية مادلين أولبرايت أن أمريكا على استعداد لاستقبال ٣٠ ألف طفل مسلم من كوسوفا، والظاهر هو الرحمة أما الباطن فهو التنصير.

فهل هى مجرد مصادفة أن تكون أمريكا هى الطرف الأصلى، والعدو الأول لهذه الدول المسلمة، أم أنها حملة دولية مدبرة وغير مبررة ضد الإسلام والمسلمين بعد تصفية الشيوعية فى العالم ؟!!.

كل هذه الأحداث بخلاف ما يحدث فى لبنان وفلسطين كل يوم على أيدى الصهاينة.

وما يحدث فى كشمير على أيدى الوثنيين الهندوس، وما حدث للدول الإسلامية فى جنوب شرق آسيا ومنطقة الخليج من تدمير لاقتصادها، وضياع لثرواتها.

كل هذا يدل على أننا فى حالة حرب صليبية صهيونية وثنية بقيادة أمريكا ضد الإسلام والمسلمين.

هذه هى أهم آثار الحملات الاستعمارية الجديدة، على المجتمعات الإسلامية.. والحق أن الحملات الاستعمارية لم ولن تنتهى، ولكنها فى النصف الثانى من القرن العشرين لم تأخذ شكل الحملات الجماعية أو المتوالية، وإنما كانت على شكل فردى مباشر من جانب إحدى القوى الكبرى الاستعمارية حيناً- كما حدث فى الحملة السوفيتية على أفغانستان- أو على شكل غير مباشر من خلال إحداث الفتن والقلاقل، وتأجيج نيران النزاعات بين الدول الإسلامية، كما حدث بين العراق وإيران، وبين العراق والكويت، وبين ليبيا وتشاد، وبين السنغال وموريتانيا، وبين إرتريا واليمن، وبين إرتريا وأثيوبيا... إلخ.

وزيادة معدل الهجمة الاستعمارية الشرسة على المسلمين فى نهاية القرن العشرين، يؤكد أنهم فى بداية القرن الجديد يفكرون فى أساليب أكثر عنفاً وحقداً على هذا الدين العظيم وأهله، فما هو المتوقع والمنتظر أن يفعلوه فى القرن القادم

؟!!.

المسلمون فى ظل النظام العالمى الجديد في بداية القرن القادم

نلاحظ أن معالم النظام العالمى الجديد الذى تريد أمريكا فرضه على العالم، تنحصر فى ثلاثة أهداف هى:

١- تدمير وإنكار الرؤية الإلهية.

٢- تأليه الذات.

٣- حجب الشخصية الفردية داخل كل وحدة كاملة.

وعلى هذا فإن برنامج أصحاب هذا النظام ينحصر فيما يلى:

أولاً: إلقاء الشك على سلطان الله وعلى صلاحه، وتقويض القواعد التى وضعها الله للإرشاد كلما كان ذلك مستطاعاً.

ثانياً: جذب الأتباع عن طريق منحهم الوعود بأن يشاركوا فى الحكم العالمى، وأنهم سيكون لديهم السلطان على أن يتسلطوا على البر والبحر والجو.

وهم يبنون هذا النظام على نصوص خرافية فى سفر الرؤيا، ويعتبرونها هى الروح الملهمة لهم فى تكوين هذا النظام العالمى، حيث جاء فى الإنجيل ما يلى: [ثم بوق الملاك السادس، فسمعت صوتاً واحداً من أربعة قرون مذبح الذهب الذى أمام الله، قائلاً للملاك السادس الذى معه البوق: فك الأربعة الملائكة المقيدين عند النهر العظيم الفرات. فانفك الأربعة ملائكة المعدون للساعة واليوم والشهر والسنة لكى يقتلوا ثلث الناس] (رؤيا ٩: ١٣-١٥).

هذا الرعب الذى سيأتى على العالم سوف تحركه أرواح شيطانية سوف تقتل ثلث سكان الأرض، إن نتيجة فك الملائكة أو الشياطين الذين كانوا مقيدين بأمر إلهى سوف تقضى على حياة حوالى ٢ مليار شخص، كى يطهروا العالم تمهيداً

لظهور الملك– المسيخ الدجال– الذى سيحكم العا لم.. وبالتالى فالمستهدف بالقتل هم أهل الإيمان الذين لا يؤمنون بهذه الأساطير والخرافات.. ومنهم المسلمون.

وقد بدأوا يمهدون لذلك بتدمير الاقتصاديات وهدم الثقافات الإسلامية، لضمان تبعية شعوبنا لهم، وتركها لدينها، كما يلى:

١ – تدمير الاقتصاد فى النظام العالمى الجديد:

إن جذور أو بذور الروشتة الاقتصادية المعاصرة التى تقدمها الهيئات الدولية لدول العا لم الثالث دوماً فى طرح

رأسمالى هى:

١– **الخصخصة**: وذلك بالإحلال التدريجى للصناعة متعددة الجنسيات بدلاً من الصناعة الوطنية.

٢– إطلاق حرية الأسواق.

٣– إلغاء الإجراءات الحمائية الجمركية (الجات).

وهى إجراءات فى نظر الكثيرين ستفضى إلى أزمة اقتصادية، وبالتالى اجتماعية عميقة الأثر.[حيث سيتم القضاء على الصناعات الوطنية لعجزها عن المنافسة مع المستورد وبالتالى يتشرد عمال هذه الصناعات].

ولتوضيح ذلك نقول:

إن من حيثيات العولمة السعى إلى توحيد السوق العالمية، بإلغاء الحواجز الجمركية بين البلدان، لذلك فإن (قانون السوق) حرية العرض والطلب، هو الذى سيحدد لكل طرف مكانته الحقيقية داخل السوق.. هذا القانون يقوم على دعامتين أساسيتين هما: (الجودة والثمن). والدول الغربية– نتيجة التكنولوجيا المتقدمة–

ستكون فى موقع القوة بالنسبة لبلدان الجنوب- وأغلبها إسلامية- مما سيشكل الضربة القاضية لما تنتجه بلداننا من سلع وخدمات، كان معظمها إلى وقت قريب- ومنها ما لا يزال- يتمتع بالحماية الجمركية، وبالدعم المادى من طرف الدولة.. وبالتالى سوف تغلق مصانعنا، ويتشرد عمالها بين مجرم ومتطرف، والنتيجة هى عواقب اجتماعية وخيمة حيث يقوم الجائع المتشرد بقتل الغنى صاحب الثروة وسرقته، كى يأكل هو وأسرته.. والمصيبة الأكبر أن الدول الغربية بعد غلق مصانعنا سوف تتحكم فى أسعار السلع كما تشاء.وواجب الوقت يحتم علينا جميعاً كمسلمين أن نجاهد الجهاد الكبير وذلك بتشجيع الصناعات الوطنية والإسلامية، والامتناع عن شراء المنتجات الغربية، لأن العالم الغربى يستخدم ظاهرة التدويل- للإنتاج ورأس المال- فى سياق التنفيس عن الاقتصاديات الرأسمالية التى تمر بفترة أزمة حرجة يترجمها الركود الاقتصادى، وتفاقم البطالة، وغياب الأمن الاجتماعى.. فإذا وقفنا وقفة رجال ضد منتجاهم انقلبت المشكلة داخل مجتمعاهم، وكفانا الله القتال.

ولا شك أن مجتمعات العالم النامى تدفع ثمناً غالياً لغزو اقتصاد السوق، فالسنوات التى شهدت محاولات دمج الاقتصاد العالمى عن طريق حرية التجارة، وحرية حركة رأس المال، والنمو المتوجه نحو الصادرات، ومن خلال البنك الدولى، وصندوق النقد الدولى، أدت بكثير من دول العالم النامى إلى الإفلاس، ودفعت شعوبها إلى مجاعات وحروب أهلية طاحنة، ووصلت ببعض هذه المجتمعات إلى حد التآكل الداخلى، والوقوف على حافة الانهيار الشامل.

٢ – هدم الثقافات فى النظام العالمى الجديد:

بعد أن تحول العالم إلى قرية صغيرة شديدة الارتباط عن طريق ثورة الاتصالات،

بدأ النظام العالمى الجديد تعميم المنظومة القيمية الغربية على دول العالم ومجتمعاته بأسرها، فيما يسمونه بالعولمة.

الأمر الذى يتجاوز اليوم ما عرف فى الماضى باسم الغزو الثقافى لحضارات العالم المختلفة من قبل حضارة متفوقة وقوية، إلى سعى حثيث توافرت له مختلف الإمكانات الدعاوية والإعلامية والفكرية اللازمة، من أجل إلغاء ثقافات وقيم وخصوصيات وهويات شعوب وقوميات العالم المختلفة، وصولاً إلى إلغاء ذاكرة هذه الشعوب، وتاريخها، وطبيعة رؤيتها لذاتها الخاصة، واختراق وجودها الاجتماعى بالكامل لإعادة صياغته كواقع وأحلام فى الآن ذاته، بما ينسجم مع عصر الاستهلاك والانفتاح والكوكله (من كوكاكولا).

إن هدف هذه العولمة هو تحويل الإنسان إلى مادة استعمالية توظف وتستعمل من أجل زيادة الإنتاج وزيادة الاستهلاك، وبالتالى زيادة أرباح الشركات الرأسمالية الكبرى متعددة الجنسيات، عابرة القارات والهويات والقوميات التى فرضت على الدول النامية عن طريق الخصخصة.

إن دلالات فرض ثقافة السوق وقيمه الاجتماعية والتربوية تظهر فى غزو اللغة الأجنبية- خصوصاً الإنجليزية وبعدها الفرنسية- بدلاً من اللغة الأصلية فى البلاد النامية عامة، وخاصة فى بلاد الإسلام، وذلك فى الأنظمة التعليمية، ووسائل الإعلام.

ثم جعل الكثير مما هو شخصى وخاص يدخل فى بند العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية والشئون الفردية شئوناً قابلة للتدخل فيها دولياً.. من خلال محاولة صوغ منظومات قيم دولية عامة حول السكان، والمرأة، والطفل.. إلخ. وعقد مؤتمرات دولية لهذا الغرض، وتشكيل جمعيات دولية من أجل ذلك.

إن الغرب يسخر كل إنجازاته العلمية، وقدراته الاقتصادية، وإمكاناته الإعلامية،

بل وقوته العسكرية- إذا اقتضى الأمر- ليفرض تصوراته الخاصة عــن الســلام، والأمن، والحرية، والسيادة، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، ونحوها من المفــاهيم التى لها عند كل أمة، بل عند كل توجه فكرى وسياسى تصور خاص.

وباختصار شديد: إنهم يريدون أن يلبس العالم الجينز، ويأكــل الهــامبورجر، ويشرب الكوكاكولا، ويرقص الماكارينا واللمبادا، ويغنى مع مايكــل جاكســون ومادونا.. وتتحول دول الجنوب إلى خدم وأتباع ومرمطــون لــدول الشــمال، ويتحول العالم إلى أبعادية أمريكية.

وقد باتت ملحوظة بوضوح ظاهرة تقلص ساحة الثقافات الوطنيــة والقوميــة لحساب ثقافة واحدة بقوة واكتساح هائلين، الأمر الذى تثبته أيضاً ردود الأفعــال الثقافية المحلية فى دول العالم أجمع، والتى تأخذ أشكال تمردات ورفض يصل إلى حد العنف فى أحيان كثيرة.. وهذا هو التصور العام للعولمة.

أما التصور الخاص للعولمة: فينصرف إلى الجانب الروحى أو المعنوى، ويتأسس على تهميش العقائد الدينية، وربطها كلية بظواهر التخلف والإرهــاب، فالإيمــان بالغيب خرافة، والتمسك بالدين رجعية، وأداء الشعائر غباء وشكلية وعدم فهم.. وهكذا تنتهى العولمة إلى الفوضى، فلا ضابط للمجتمع مع نص ضــميرى ملــزم، والضابط الوحيد هو وجوب قتل عقائد الآخرين.

فالعولمة إذا لم تستطع نفى الدين، فلا أقل من أن تقوم بتهميشه، حتى لا يتذرع به أحد فى إثبات ذاته، وتفرده عن غيره من الناس، وقد جندوا لذلك أعواناً لهم فى بلاد الإسلام بأسماء إسلامية تحت دعاوى العلمانية.

وإذا أردنا الوصول إلى أسس العولمة المتعلقة بالدين على ما تقدم بيانه، فيجــب أن نلاحظ أن الدين الإسلامى سيصطدم بهذه العولمة لا محالة بما يلى:

أولاً: إن الدين يقف حجر عثرة أمام المــاديين الــراغبين فى تحقيــق الهيمنــة

الاقتصادية العالمية، فالماديون لا يتنعمون إلا بالماديات من حب الشهوات إلى حب المال، إلى غير ذلك من أمور.. والدين الإسلامى يفضح هذه الحقيقة فى قوله تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**﴾ (آل عمران: ١٤). لذلك فالحل الوحيد أمامهم يكمن فى نفى الدين، أو على الأقل تهميشه، وحبذا لو تم إظهار عجز الدين عن استيعاب حقائق العصر فى تصورهم، وهو ما تحاول العلمانية القيام به.

ثانياً: إن الإسلام يحول دون ما تقتضيه العولمة من موالاة الكافرين بدليل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً**﴾ (النساء: ١٤٤). ولما كان كثير من دعاة العولمة الغربية من الكفار الذين يبتغون الهيمنة على العالم، والمسلمون بمقتضى القرآن الكريم لن يوالوهم، لذا فإنه يجب القضاء على الدين الإسلامى، أو تهميشه، وتسخير أعوانهم من العلمانيين، لإثارة قضايا الخلاف بين المسلمين فى الصحف والمجلات المقروءة لصرف الناس عن حقيقة ما يدبرون ويكيدون.

ثالثاً: إن الإسلام يحرم الإتجار فى أكثر الأمور إدراراً للربح الحرام، مثل الإتجار فى الجنس، والرقيق الأبيض، والمسكرات، والمفترات، ويحرم التعامل بالربا، والقمار، والإتجار فى شحوم ولحوم الخنازير، والأغذية الفاسدة، والأسلحة التى تمنح للمتمردين على أنظمة الحكم فى البلاد الإسلامية، والقنابل التى تطلق على الأبرياء وتعرض المجتمع كله للدمار.

والقائمون على العولمة تجاراتهم الرابحة هى كل هذه الأشياء، وبالتالى فالتصادم مع دين الإسلام قائم لا محالة.

رابعاً: إن الدين الإسلامى يفضح المتكبرين، والداعون إلى العولمة متكبرون

ويكرهون وصف القرآن لهم ولأمثالهم بقوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلاً، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ (الأعراف: ١٤٦).

خامساً: إن الإسلام يبين حقيقة الدنيا بشكل يدعو إلى عدم الغلو فى التمسك بها، وهذا ضد مذهب الماديين الداعين إلى العولمة.. وبيان حقيقة الدنيا فى الإسلام يتضح من قوله تعالى: ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**﴾ (يونس: ٢٤).

ولكن الماديين يريدون الكسب، وحض الناس على التعامل مع الدنيا بحسبانها الحقيقة الوحيدة فى حياة الناس، وكأن الدين لا وجود له.

ومما سبق: نجد أن العولمة بالمفاهيم الغربية، ضد الدين الإسلامى، الذى يفضحها ولا يقبلها فى أى أساس من

أسسها، والقضية الآن هى أن نكون أو لا نكون.

فإذا قبلنا أسس العولمة الغربية فرطنا فى ديننا.

وإذا تمسكنا بديننا فلن نقبل عولمتهم بأى حال من الأحوال.

ولا خير ولا سعادة إلا فى الدين الحق الذى شهد له الحق بقوله تعالى: ﴿**ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين**﴾ (يونس: ٥٣).

(مجلة الإسلام وطن، عدد ١٣٨، أ.عبد الحليم العزمى، ص٣٨).

الاستعمار العالمى الجديد
عن طريق الأخلاق والحضارة

يقول صموئيل هنتنجتون فى كتابه صراع الحضارات: [المرحلة المقبلة هى مرحلة الهيمنة الغربية على العالم، مرحلة بداية ما بعد الدولة القومية، أو الدولة الأمة، أى نهاية مرحلة السيادات المتساوية للأمم والدول، ولهذا لن يعود أحد يهتم بالتقسيمات الحدودية الجغرافية التى تحدد داخلها دولاً ذات سيادة. وثمة مبررات إضافية لمحاولات الانتقاص من سيادة دول العالم المتخلفة والمخلِّفة تزعم أن الاعتداء على هذه السيادة هو تخليص وإنقاذ لهذه الدول من نفسها.. يتحدث المفكر البريطانى بول جونسون عن الشرعية الجديدة التى تكتسبها الآن فكرة قيام بلد بإدارة شئون بلد آخر من أجل إنقاذه من نفسه، ويضيف: (إن بعض الدول لا تستطيع أن تحكم نفسها، واستمرار وجودها، والعنف والانحدار الإنسانى الذى تعيشه يشكل تهديداً لاستقرار جيرانها، وهنا تبرز قضية أخلاقية، أن على العالم المتحضر رسالة: أن يخرج إلى هذه المناطق التى يحكمها اليأس.. ليحكمها هو!!)].

وهكذا ولدت فى عهد النظام العالمى الجديد، مجدداً تلك الأفكار الاستعمارية القديمة التى تحدثت عن (عبء الرجل الأبيض)، وعن رسالته الأخلاقية والحضارية التى يسعى لتعميمها على دول العالم المستعمرة، وهو يمارس نهبها وإبادتها وتدميرها بالكامل.

صحيح أن عنصرية أصحاب النظام العالم الجديد هى أقل صراحة من عنصرية النظام الاستعمارى العالمى القديم، لكنها أكثر فظاعة بغاياتها، فهى تستهدف- على المستويين الثقافى والاجتماعى- تنفيذ ما يشبه مجزرة جماعية فى حق ثقافات

الشعوب وحضاراتها وهوياتها وخصوصياتها من أجل دفعهــا لتســتبطن (الثقافــة الغازية) وتتمثلها بالكامل.

عنصرية النظام العالمى الجديد أكثر فظاعة من عنصرية الاستعمار القديم، فهــى موجهة هذه المرة إلى إنسانية الإنسان فى كل مكان مــن العــالم.. لأن الإنســان المتكيف مع ثقافة الاستهلاك والتسوق، هو إنسان ذو بعد واحد، يفتقــر إلى أى أخلاق أو قيم أو دين أو شعور بالانتماء والهوية، الانتماء الوحيد المتاح فى ثقافــة السوق هو الانتماء إلى سوبر ماركت المتعة واللذة الكبير باتساع العالم.. مما يعــنى إسقاط القداسة عن الإنسان، والتاريخ، والدين، وفكرة القيم، والهوية، والثقافــة، من حيث المبدأ.

النتائج المتوقعة
للنظام العالمى الجديد

أول النتائج المتوقعة : تحمل استعادة لذات الإبادة القديمة التى مارسها المستعمرون الأوائل فى أمريكا الشمالية وأفريقيا وآسيا واستراليا للشعوب الأخرى، فكل ما هو غير نافع يبيت غير ذى جدوى.. ولابد بالتالى من التخلص منه ومن أعباء استمراره بالوجود على وجه الأرض (إبادة شعوب العالم الثالث).

ثانى النتائج المتوقعة: هو تزايد تلك النظرة الموجودة حالياً فى الغرب، والتى ترى المسلمين عبارة عن وباء قد يجتاح قصرهم المحروس بعناية.. هذه النظرة تعبر عن نفسها اليوم بالحديث عن الدول الإسلامية كدول قلقلة خارجة على القانون فيحاصرون ليبيا والعراق وفلسطين وإيران والصومال والسودان، وتتهم بأنها مصدر خطر على النظام الدولى والسلام العالمى، فهى موطن الإرهاب والأصولية والتطرف السياسى والاجتماعى.. وقد لا تبدو جملة هذه الاتهامات منسجمة أبداً مع العولمة، والعالم الذى تحول إلى قرية كونية شديدة الترابط.. مما يعنى أنهم عقدوا العزم على ضرورة التخلص من هذه الأمة بأسرها، إذا لم ترتد عن دينها. فماذا أنتم فاعلون يا أمة الإسلام؟!!.

(مجلة الإسلام وطن، العدد ١٤١، أ.عبد الحليم العزمى، ص٣٩).

بانتهاء الحديث عن المؤامرات الفكرية، والمؤامرات السياسية والعسكرية، وحال المسلمين فى ظل النظام العالمى الجديد، ينتهى الحديث عن القسم الثانى من أسباب ضعف الأمة الإسلامية، وهو الخاص بالأسباب الخارجية.. وبهذا ينتهى الفصل الأول الخاص بأسباب ضعف الأمة الإسلامية، وننتقل الآن لنتناول السبل الكفيلة بالنهوض بهذه الأمة العظيمة.

الفصل الثانى

سبل النهوض بالأمة الإسلامية

بعد الوقوف على أسباب ضعف الأمة الإسلامية، وتحديد وتشخيص عللها وأمراضها لا بد من إتباع ذلك بالحديث عن العلاج لهذه العلل، وسبل التغلب على أسباب الضعف، لاستنهاض الهمم وإثارة الحماسة الإيمانية، حتى تعود الأمة إلى موطنها الصحيح فى طليعة المسيرة الحضارية الإنسانية، وموقع القيادة فيها.

وما من شك فى أن تحقيق ذلك الهدف إنما يتوقف فى المقام الأول والأخير على التأسى بما فعله المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾، حينما بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً.

لقد استدار الزمان إلى ما يشبه هيئته يوم بعث النبى ﴿ﷺ وآله﴾، فقيادة النظام العالمى والمسيرة الحضارية بيد حضارة مادية جاهلية، بعيدة كل البعد عن قيم الوحى الإلهى، تماماً كما كان الحال عند بعثته الشريفة ﴿ﷺ وآله﴾، حيث كانت قيادة العالم بيد الفرس والروم أصحاب الحضارات المادية الجاهلية.

فكان أن بدأ ﴿ﷺ وآله﴾ طريقه الطويل بتكوين الفرد المسلم الصالح، وتربيته على مبادى العقيدة الإسلامية الحقة، وصقله بالعبادات الإسلامية، والخلق الإسلامى الحسن.

فكان الفرد المسلم الصالح هو النواة التى كونت الأسرة المسلمة الصالحة، التى ربى جميع أفرادها على العقيدة الحقة.. ومن خلال الأسرة الصالحة يتكون المجتمع الصالح، الذى سينتج عنه حتماً تكوين الدولة المسلمة الصالحة، وصولاً فى النهاية إلى الأمة الإسلامية الكبرى، التى تمثلت حقيقة واقعة فى فترة تاريخية مجيدة، والمأمول الآن أن تعود سيرتها الأولى بإذن الله.

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه

(وسائل نيل المجـــد الإسلامى): (ليس بين المجتمع الإسلامى وبين أن يعود له المجد الذى كان له شقة شاسعة، ولا مسافة واسعة، وإنما هى لمحة تحصل بها الصـــلحة، ونحن والحمد لله لم يغب عنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ولن يغيب ﴿ﷺ وآله﴾ وهو فينا ونحن معه، أما كونه ﴿ﷺ وآله﴾ فينا فالقرآن الكريم والسنة المطهرة، حفظهما الله لنا من التغيير والتبديل، وسهل جداً علينا العمل بهما، والغيرة لهمـــا، وإقامـــة حدودهما، وقهر المتساهلين على القيام بما أوجب الله تعالى، ورغب فيه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

وأما كوننا معه ﴿ﷺ وآله﴾ فأمر لا يكلفنا مشقة، وليس بيننا وبينه شقة، وقد بيّن الله تعالى صفات وأخلاق وأعمال من يتفضل عليهم بمعيته ﴿ﷺ وآله﴾، الـــتى بها نكون مع الله تعالى، ويكون الله معنا). (وسائل نيل المجد الإسلامى، ص ٢٣٢).

وسنبدأ بالحديث عن بناء الفرد، ثم الأسرة، ثم المجتمع.

أولاً: بناء الفرد المسلم:

يقوم بناء الفرد المسلم فى الأساس على العقيدة، فإذا ما تمكن الإيمان من القلب وملك أقطار النفس، فإن المسلم حينئذ يصبح إنساناً آخر غير جميع الناس، فبالعقيدة الإسلامية أصبح رعاة الغنم قادة للأمم، وبالإيمان الحق صار عباد الحجـــر هـــداة للبشر.. فقد صاغ الإسلام نفوسهم من جديد، وبث فيها روحاً جديدة، جعلتهم ينساحون فى الأرض ينشرون دين الله، لا يخافون فى الله لومة لائـــم، ولا تقـــف أمامهم قوة مهما عظمت، ولا يضرهم كيد أعداء الله شيئاً، لأنهم ليس فوقهم إلا الله تعالى.

يقول "السيد عز الدين ماضى أبو العزائم" رضى الله عنه فى مقدمـــة كتـــاب (الجهاد): (لقد كان لنا مع دولة العصابات الصهيونية جولات وجولات، تعلمنـــا

خلالها أن عدونا لدود، وأنه يصدر فى اعتدائه علينا وتصديه لنا عن عقيدة مـــلأت نفسه، وملكت عليه جوارحه، بغض النظر عن صلاح هذه العقيدة أو فســـادها، وقد أفلحت الصهيونية العالمية فى حمل يهود العالم على أن يضعوا تحت تصرفها كل ما يملكون فى سبيل أن تقيم لهم (دولة) على أرض الميعاد- كما يزعمون ويفترون- التى تمتد من النيل إلى الفرات، وأن تعيد بناء هيكل سليمان على أنقاض المســـجد الأقصى.

المحارب اليهودى يقاتل إذن فى سبيل عقيدة، يهاجر من أجلها من أطراف الدنيا لينتصر بها أو يموت، وهذا النوع من المحاربين لايستطيع الصمود لـــه إلا (جنـــود عقيدة) لا يحارب الواحد منهم فقط لنصرة جاره، أو صديقه، أو إزالة قاعدة مـــن قواعد الاستعمار وما إلى ذلك. وإنما يحارب للدفاع عن مقدسات تنتهك حرمتها، وعن حق شعب مؤمن تربطه بهم وشيجة العقيدة فى أن يعيش على أرضه عزيـــزاً كريماً. وهنا إذا ما قضى الجندى نحبه فى المعركة فإنما يقضى نحبه شهيداً ينتظـــره مقام الشهداء، ولن يعرف الخذلان إلى نفسه سبيلاً). (الجهاد، للإمام المجـــدد أبى العزائم، ص١٢).

من هنا، فالمسلمون بحاجة إلى إعادة بعث هذه الروح الإيمانية من جديد، ليـــتم بناء الفرد المسلم صاحب العقيدة الحقة.

مواصفات صاحب العقيدة الإسلامية الحقة :

هو الإنسان الذى يوقن أن الله عز وجل يراقبه، ويعلم سره وعلانيته، وبـــذلك لن يحيد عن الحق، ولن ينحرف عن سبيل الرشاد، وليس أدل على ذلك من قصـــة الفتاة التى سمع سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أمها تأمرها بخلط اللبن بالماء، وحينمـــا اعترضت البنت بأن أمير المؤمنين نهى الناس عن ذلك، أجابت الأم: إن أمير المؤمنين

لا يرانا.. فقالت الفتاة المؤمنة المراقبة لربها: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن رب أمير المؤمنين يرانا. (مسند عمر بن الخطاب للسهروردى ١/١٢٢). فعنصر المراقبة لله كان عاصماً من الانحراف، وحائلاً منيعاً دون الوقوع فى معصية لا يتوقف ضررها عند حدود الفرد، بل يتعداه إلى المجتمع ككل.

وهو الإنسان المتصل بالله صاحب القدرة المطلقة والعلم اللانهائى.. ومن ثم يورثه الإيمان بالله عزة النفس وشجاعة القلب، لا يرهبه جبروت، ولا يخيفه بطش. فهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فى مؤتة، يجد فى الجيش المسلم القليل العدد (ثلاثة آلاف) تهيباً من لقاء الجيش الرومى (مائتين وخمسين ألفا)، فيخاطبهم رضي الله عنه بمنطق الفرد المسلم الصالح صاحب العقيدة الحقة قائلاً: (يا قوم.. والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون: الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا به الله، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور أو شهادة) (النجاة فى سيرة رسول الله، للإمام أبي العزائم، ص٧٨٨).

وهو الإنسان المستقبل لقضاء الله وقدره، بكل الرضا والاطمئنان، فلا جزع على ما فات، ولا خوف مما هو آت، وأمامه دائماً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ (الحديد: ٢٣). وقول المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم وآله﴾: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) (مسلم).

وهو الإنسان الموقن بأن الرزق بيد الله وحده، وأن مسألة الفقر والغنى ليست إلا تدبيراً إلهياً حكيماً، لينتظم الكون وتسير قافلة الحياة، قال تعالى: ﴿**أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون**﴾ (الزخرف:

٣٢).

وعلى هذا فصاحب العقيدة يمضى فى الحياة واثق الخطو، مجتهداً فى الأخـــذ بأسباب الله الموجودة فى الكون، ومفوضاً الأمر إلى رب الكون، فإذا فاته حظه من الدنيا فهو مذخور له عند الله فى الآخرة، وما عند الله خير وأبقى. قـــال تعـــالى: ﴿**فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنـــوا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ (الشورى: ٣٦).

وهو الإنسان الذى يأتيه التوجيه الإلهى – أمراً أو نهيـــاً– فيبـــادر إلى التنفيـــذ الفورى والاستجابة التلقائية، كما قال تعالى: ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئـــك هـــم المفلحـــون**﴾ ﴿ مُحَرَّمْ جُمَادَىٰ أَوَّل ﴾ شَوَّال

وهو الإنسان الذى يجعل غايته العظمى، وهدفه الأسمى نصرة دين الله وإعـــلاء رايته، متحملاً فى سبيل ذلك كافة المشاق والصعاب، موقناً أنه لا يثبـــت علـــى الدرب إلا قوى الإيمان، راسخ اليقين، قال تعالى: ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ (العنكبوت: ٢).

وهو الإنسان الذى يظل قلبه– مع طول البلاء ووعورة الطريق– عامراً بالثقـــة الكاملة فى نصر الله وتأييده، بمقتضى وعده الذى لا يتخلف أبداً، قـــال تعـــالى: ﴿...**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾ (الروم: ٤٧). ولا يمكـــن أن يتســـرب اليأس والقنوط إلى قلب صاحب العقيدة الحقة، لأن اليأس قرين الكفر، والقنـــوط قرين الضلال، كما قال تعالى: على لسان سيدنا يعـــقوب عليه السلام: ﴿**إنه لا ييـــأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾ (يوسف: ٨٧). وكما قال حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿**قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون**﴾ (الحجر: ٥٦).

هذه مواصفات صاحب العقيدة الإسلامية الحقة، تأتى العبـــادات الإســـلامية

لترسيخ هذه المبادىء فى نفسه وتثبتها فى قلبه، فيصبح إنساناً صالحاً متحلياً بكل فضيلة، متخلياً عن كل رذيلة، وعندئذ يكون نواة طيبة لأسرة صالحة قوية.

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (لبيك اللهم لبيك) ص٧،٨: (إن الله تعالى نوَّع العبادات من عقيدة وصلاة وصيام وزكاة وحج، ليطهر بالعقيدة من الشرك، وبالصلاة من المخالفة، وبالصيام من الشهوة والهوى، وبالزكاة من الحرص البهيمى، وبالحج من اتخاذ الأنداد، حتى يكمل الإنسان الكمال الذى يكون به مع الله تعالى، والله تعالى معه، أو عند الله تعالى والله تعالى عنده. ومن لم يوفقه الله للمسارعة للقيام بالحق ولو على نفسه لا يبلغ درجة الكمال الذى به السعادة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والسالك فى طريق الله تعالى متى طهر من الشرك بالعقيدة، ومن المخالفة بالصلاة، ومن الهوى الشيطانى بالصيام، ومن الحرص البهيمى بالزكاة، صار تواباً متطهراً فأحبه الله تعالى، وأشهده بديع جماله، فأفرد الله بالقصد وقصده حجاً).

ثانياً: بناء الأسرة المسلمة:

يهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً بالغاً، إذ أنها اللبنة الأولى فى بناء المجتمع المسلم الصالح، ومن ثم فقد تدخل الإسلام منذ اللحظات الأولى للتفكير فى تكوين الأسرة، وتواصل اهتمامه بها ليتوافر للبيت السعيد الاستقرار التام والسعادة الكاملة، وحينئذ يكون بحق محضناً صالحاً لتكوين جيل مسلم، يعلى راية الإسلام، وينشر نور الله فى الآفاق واتخذ الإسلام الخطوات التالية لتنفيذ ذلك:

(١) حسن اختيار الزوج والزوجة:

لاشك أن الفرد المسلم الصالح صاحب العقيدة- ذكراً كان أو أنثى- حينما

يفكر فى تكوين أسرة وإنشاء بيت سيبحث فى شريكه أو شريكته عن الدين والخلق أولاً وقبل كل شيء، لأنه ينظر إلى الزواج ليس على أنه مجرد قضاء وطر أو إشباع شهوة، بل على أنه فطرة إنسانية وضرورة اجتماعية لها قداستها ومترلتها السامية.

* ففى جانب اختيار الزوجة الصالحة، بين النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أن الناس متفاوتون فى نظرهم إلى المواصفات المطلوب توافرها فى الزوجة فيقول: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) (البخارى ومسلم).

وليس معنى ذلك أن الإسلام لا يأبه باعتبارات المال والحسب والجمال ولا يقيم لها وزناً، فلا شك أنها مرغوبة ومحبوبة، وتساهم فى تحقيق الهدف الأسمى من الزواج، المتمثل فى تكوين بيت مؤمن مستقر سعيد، ولكن الإسلام يحذر من النظر إلى المال أو الحسب أو الجمال دون الالتفات إلى الدين والخلق، وهذا ما يشير إليه قول المصطفى﴿ﷺ وآله﴾: (لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمه سوداء ذات دين أفضل) (ابن ماجة والبيهقى).

أما من تمسك بالمال أو الحسب أو الجاه.. كل ذلك بعيداً عن الدين والخلق، فإنه يعامل بنقيض قصده.. وفى ذلك يقول النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (من تزوج امرأة لعزها، لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها، لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها، لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، أو يحصن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه) (الطبرانى، والهيثمى).

* وفى الجانب المقابل، يوجه الإسلام نظر ولىّ الفتاة المسلمة، ويشده إلى انتقاء الزوج الصالح التقى صاحب الدين والخلق.. قال ﴿ﷺ وآله﴾: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) (ابن

ماجة والترمذى).

وبهذا الاختيار القائم على الدين والخلق- من جانب الزوج والزوجة- يستقيم عود البيت، وتثبت قوائمه، ويصبح على أتم الاستعداد لمواجهة أعتى الأعاصير، وأشد الزوابع.

(٢) ضمانات البيت المسلم السعيد:

تكفلت توجيهات الإسلام بوضع الأسس المتينة لتحقيق السعادة والاستقرار للبيت المسلم، ولضمان أن تصل الحياة الزوجية إلى شاطىء الأمان وبر النجاة:

* فقد أمر الإسلام الأزواج بحسن معاملة زوجاهم، يقول تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ (النساء: ١٩).

ويقول المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ فى وصيته الجامعة فى حجة الوداع: (... فاتقوا الله عز وجل فى النساء، فإهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإن لهن عليكم ولكم عليهن حقاً، أن لا يوطئن فرشكم أحداً غيركم، ولا يأذن فى بيوتكم لأحد تكرهونه، فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوهن بالمعروف، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله عز وجل..) (أحمد وابن ماجة).

ويقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه: (ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وعلى الرجل أن يزيد على احتمال الأذى بالمزاح والمداعبة، فهى التى تطيب قلوب النساء، ولا ينبسط فى الدعابة والموافقة باتباعه هواها إلى ما يفسد خلقها ويسقط هيبته عندها، مع الاعتدال فى

الغيرة والنفقة)٠

(مجلة الإسلام وطن عدد ١٤٧، مقال الصوفية والتصوف للإمام أبى العزائم، ص٥٠)٠

بل إنه ﴿ﷺ وآله﴾ يجعل حسن معاملة الرجل أهله من شرائط كمال الإيمان، ومن إمارات مروءة الرجل وخيريته فيقول: (أكمل المؤمنين إيماناً: أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله) (الترمذى وأحمد)٠ ويقول: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى) (ابن ماجة)٠

* وعلى الجانب الآخر، أمر النبى ﴿ﷺ وآله﴾ الزوجات بحسن معاملة أزواجهن، إلى الدرجة التى يجعل فيها المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ طاعة الزوج وحسن معاشرته تعدل الجهاد فى سبيل الله، فقد اجتمع النسوة ذات مرة، وأرسلن إحداهن لتسأل النبى ﴿ﷺ وآله﴾ قائلة: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك٠ هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أثيبوا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك الأجر؟ فقال: (أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك٠ وقليل منكن من يفعله)٠(الهيثمى، والمنذرى فى الترغيب والترهيب، والسيوطى فى الدر المنثور)٠

وأكثر من ذلك أن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ جعل أداء المرأة حق ربها متوقفاً على أداء حق الزوج، فيقول ﴿ﷺ وآله﴾: (لوكنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها، ولو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه) (ابن ماجة). ومعنى قتب أى: بعير.

ثم إنه ﴿ﷺ وآله﴾ يجعل رضا الزوج سبباً فى دخول زوجته الجنة، حيث يقول فى حديثه الشريف: (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة) (ابن

ماجة).

وبمراعاة كل من الزوج والزوجة لهذه التوصيات الحكيمة يتحقق للبيت المسلم الاطمئنان والسعادة والاستقرار، فيصبح مهيئاً وصالحاً لتربية جيل مؤمن قوى صالح.

(٣) تربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة:

يحرص الإسلام أشد الحرص على حسن تربية الأولاد، وتنشئتهم نشأة إسلامية صحيحة حيث يجعل النبى ﴿ﷺ وآله﴾ كلاً من الرجل والمرأة مسئولاً عن أمانة بيته أمام الله رب العالمين يوم القيامة، فيقول: (... والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها) (البخارى)

وتبدأ مسئولية الرجل تجاه أولاده منذ اللحظة الأولى التى يتجه فيها تفكيره إلى إنشاء بيت وتكوين أسرة، إذ أن عليه أن يحسن انتقاء واختيار من ستكون فيما بعد أماً لأولاده. فقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليشكو إليه عقوق ابنه وسوء معاملته له، ولكن الولد حينما مثل بين يدى أمير المؤمنين سأله: أليس للولد حقوق على أبيه؟ فقال عمر: بلى، أن ينتقى أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه القرآن الكريم.. فقال الولد: إن أبى لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمى فهى زنجية كانت لمجوسى، وقد سمانى جعلاً أى: (خنفساء)، و لم يعلمنى من كتاب الله حرفاً واحداً... (الحقوق الإسلامية، طه عبد الله عفيفى، ص ٢٦٣،٢٦٤).

ثم بعد أن يأتى المولود إلى هذه الدنيا، يأمر المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ أن تكون كلمة التوحيد أول مايقرع سمع الوليد، فقد قال: (افتحوا على صبيانكم أول كلمة بـ (لا إله إلا الله) (الحاكم).

كما أن من سننه ﴿ﷺ وآله﴾ التأذين فى أذن المولود اليمنى، والإقامة فى

اليسرى، والعقيقة... وغير ذلك مما جاء فى الأحاديث الشريفة.

أما عن جانب التربية والتأديب فقد أولاه المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ عناية خاصة، حيث أوجب على الأب والأم تعليم الأولاد وحسن تأديبهم، وذلك فى قوله: (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم...) (ابن ماجة). بل يجعل ﴿ﷺ وآله﴾ اهتمام الرجل بتأديب ولده أفضل من بعض الطاعات فيقول: (لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع) (الترمذى).

ثم إنه ﴿ﷺ وآله﴾ يعتبر التأديب خير عطية يعطيها لولده، فيقول: (ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن) (الترمذى وأحمد).

ويجب على كل من الأب والأم أن يبثا فى نفوس أولادهما عقيدة الإسلام ومبادئه السمحة منذ نعومة أظفارهم، فقد قال النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (أدبو أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه) (السيوطى فى الصغير، والديلمى فى مسند الفردوس). كما أن عليهما أيضاً أن يأمرا الأولاد بامتثال أمر الله، والابتعاد عما نهى عنه، قال ابن عباس رضى الله عنهما: (اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصى الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى، فذلك وقاية لهم ولكم من النار).

ومن المهم جداً فى هذا المضمار أن يحرص الأبوان على تعويد الصغار على أداء العبادات ومتابعة ذلك جيداً، واللجوء إلى العقاب عند حدوث تقصير أو تفريط، يقول ﴿ﷺ وآله﴾: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع) (أبوداود، والحاكم، والسيوطى).

وقد كان السلف الصالح- رضوان الله عليهم- يحرصون على ربط أولادهم

بحب دين الله، وعلى غرس معانى التضحية والفداء فى نفوسهم، من خلال تعليمهم سيرة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ بما فيها من مشاهد جليلة ومواقف عظيمة، لها أثرها القوى فى تنشئة الطفل، يقول سيدنا سعد بن أبى وقاص ﷺ: (كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم).

ويقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (النجاة فى سيرة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾): (إن أعماله ﴿ﷺ وآله﴾ فى المغازى أكمل دروس عملية يتلقاها المجاهدون منه ﴿ﷺ وآله﴾، ويلقونها على أبنائهم ومن بعدهم، وهى الأصول التى يستنبط منها الفقيه الأحكام الشرعية عزائمها ورخصها، وهى الروض الجنى الذى يقتطف منه مريد الله سبحانه وتعالى أكمل أزهار الأدب والأخلاق، وأجمل أنواع المعاملات، وهى المشهد الذى يتحلى فيه شاهده بحلة الزهد فى الدنيا، والرغبة فى الآخرة، وبذل النفس والنفيس فى محبة الله سبحانه، وإعلاء كلمته جل جلاله، والجهاد هو الحجة الواضحة التى تقوم للإنسان أو عليه بأنه مؤمن كامل، أو منافق جاهل، هذه الحكم التى يمكن أن يشهدها عامة المسلمين بلا روية ولا بحث).

كما كانوا ﷺ يحرصون كذلك على حضور أولادهم مجالس العلم والخير، لينهلوا من معينها الذى لا ينضب، فهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، كان يحضر مجلس رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ مع أصحابه الكرام ﷺ، وهو غلام حديث السن، فيلتزم الأدب والوقار، ولا يتقدم على الكبار برأى، ويشجعه أبوه على إبداء رأيه ما دام ملتزماً بحدود الأدب والفضيلة... أخرج البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ سأل أصحابه ذات يوم: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثونى ما هى؟!) قال عبد الله: فوقع الناس فى شجر البوادى، ووقع فى نفسى أنها النخلة،

فاستحييت (أى استحيا أن يجيب عن السؤال فى وجود الكبار) فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها. فقال: (هى النخلة) قال عبد الله: فحدثت أبى بما وقع فى نفسى، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلىّ من أن يكون لى كذا وكذا).

وبهذا يشب الأطفال على الشجاعة والجرأة فى الحق، لا يخافون فى الله لومة لائم، ويثبتون فى مواطن الثبات، ويقومون ببطولات نادرة يعجز عنها الكثير من الرجال، كما حدث من معاذ ومعوذ ابنى عفراء فى غزوة بدر الكبرى، وقتلهما عدو الله أبا جهل، وهما دون الحلم. (البخارى).

بمثل هذا الجيل الفذ النادر تنهض أمة الإسلام من جديد، وتستعيد مكانتها الريادية على المستوى العالمى.

(٤) إحياء أمل الشباب المسلم:

إن ارتفاع سن الزواج لدى الشباب، إلى سن ٣٥ سنة، وارتفاع سن الزواج لدى الشابات إلى ٣٠ سنة هو جرس إنذار للأمة الإسلامية بانتشار الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وضياع لمستقبلها المتمثل فى هؤلاء الشباب. فالنشء إذا بلغ سن الشباب ووجد نفسه عاطلاً، وليس له أدنى أمل فى أن يصبح صاحب بيت خاص به.. أو تكون له زوجة وأسرة، أو أن يوفر لأولاده الحياة الكريمة.. فإن ذلك يفقده الأمل فى مستقبل أفضل.. وفى ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية الغير إنسانية تنشأ فى قلوب هؤلاء الشباب حقد ومرارة وكراهية للمجتمع، بل إن أكثرهم يفقد شعوره بالانتماء إلى هذا الوطن.

إن الشباب عندما يفقد شعوره بالانتماء يتحول لأحد ثلاثة طرق:

<u>الأول</u>: هو الطريق العلمانى الذى يبيح الزنا والفساد والانحلال.

<u>الثانى</u>: طريق جماعات قتل المسلمين، انتقاماً من هذا المجتمع الذى أهمله و لم يهتم

بحل مشاكله.

الثالث: طريق الإجرام.

والطريق الأول قتل معنوى للشباب المسلم، لأنه يهدم التعاليم السامية لدينه، والثانى والثالث إنهاك لقوى الأمة لقتل أبنائها، وزرع الفرقة والاختلاف بينهم، وبالتالى فشلهم وذهاب ريحهم، فإذا ما انقض عليهم عدوهم سلَّموا له أنفسهم دون مقاومة.

وإذا كان الله تعالى قد أنعم على الأمة الإسلامية بنعم مادية كثيرة كالبترول والذهب وثروات الأرض.. فإن أعظم نعمة وثروة هى شباب هذه الأمة، وقد أدرك أعداؤها من الصليبيين والصهاينة أهمية هذه الثروة، وخططوا حثيثاً لتخريب هذه القوة، وتهديم بنيتها الفكرية والنفسية، وبالتالى أدركوا أنه لا بد من جعل الشباب المسلم أعداء لعلمائهم ودعاتهم، وخدماً لأفكار اليهودية والصليبية، وجواسيس وعملاء لقوى الشر والباطل.. وإذا استطاعوا أن يخربوا هذه الثروة فإن الخسارة ستكون فادحة لا تعوض. من أجل هذا لا بد من أن تتكاتف الحكومات والشعوب من أجل إنقاذ شبابنا (مستقبلنا) من الضياع، إما بالتسيب العلمانى، وإما بالتطرف الدينى أو الإجرامى.

أ- الواجب على الحكومة نحو الشباب:

إن واجب الوقت يحتم على الحكومة أن تساهم فى حل مشاكل الشباب بما يلى:

١- التحرر من البيروقراطية والروتين الذى يعوق حركة الإنتاج والإبداع فى جميع دول العالم الثالث، ويعرقل نموها الاقتصادى.. لأن الإنسان فى أية دولة ناهضة هو رأسمالها الحقيقى.

٢- استغلال موارد الأمة بأمانة وإخلاص، وعلى سبيل المثال عنصر السياحة الذى كان منسياً فى مصر، ولم يستغل كوسيلة استثمارية لرفع مستوى الدخل.. فمع قليل من الدعاية حققت السياحة فى مصر خلال عام واحد هو ١٩٩٢م دخلاً قدره ٢,١٢٥ مليار دولار أى حوالى ٧,٥ مليار جنيه مصرى، وقد نشر المجلس العالمى للسياحة أن ميدان السياحة وحده يمكن أن يخلق فى مصر ٢٠ مليون فرصة عمل فى السنوات الخمس القادمة، أى أنه يستوعب ويحل مشكلة البطالة فى مصر خلال خمس سنوات فقط بصورة نهائية.

٣- يجب أن تهتم الدولة بكل جدية بخلق العمالة الفنية الماهرة فى كل مجال، عن طريق التوسع فى التعليم الفنى والصناعى، وعلى آلات وأجهزة علمية حديثة فى جميع المهن والصناعات، ولجميع الأعمار، وتكون مراحل التعليم قصيرة وسريعة وهادفة.. بحيث لا تعيق العامل عن السعى على رزقه، أو الهروب من الدراسة إلى العمل.

ومن المعروف أن نهضة ألمانيا الحديثة، وقيامها بسرعة من كبوتها، ومن الدمار الشامل الذى لحق بها، هو اهتمامها بالتعليم الفنى لإخراج طبقة عاملة على مستوى عالى من التكنولوجيا، وقد أدى ذلك إلى انتعاشها اقتصادياً.

٤- يجب على الدولة أن تساعد الشباب على معايشهم وتسهل لهم طرق الكسب الحلال، لأن الحكومة فى الإسلام تعنى خدمات وإنتاج.. وخاصة الطبقة الكادحة الفقيرة.. وذلك بدلاً من أن تقف أمامهم، أو تعرقل سعيهم.. وتحضرنا هنا كلمة هامة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ وهو ينبه ولاة الأقاليم إلى أهمية مساعدة الناس على الرزق: (إن الله قد خلق هذه الأيدى لتعمل فى الرزق الحلال.. فإذا لم تشغلوها بالحلال شغلتكم بالحرام).

٥- تتبنى الدولة مشروع الصناعات الصغيرة المغذية للصناعات الكبيرة، وهو من

أهم المشروعات التى تخلق فرصاً جديدة للعمل، وأبواباً جديدة للرزق أمام ملايين الشباب.

ويتلخص هذا المشروع فى توجيه وتدريب الشباب على إنتاج بعض القطع التى تحتاج إليها الصناعات الكبيرة، أو يحتاج إليها الجمهور... وذلك برأسمال صغير، وفى ورش صغيرة توفرها لهم الدولة.. ويكون هذا المنتج تحت إشراف ورقابة هيئة متخصصة تتولى التسويق والتنسيق بين المنتج الصغير وبين المصانع الكبيرة أو الجمهور المستهلك، بدون تعقيدات روتينية.

وقد قامت الهند فى هذا الميدان بحيث نقلت الصناعات الصغيرة إلى كل بيت وأسرة، وأصبحت مصدر الدخل الرئيسى لملايين الأسر فيها.. وبذلك تحولت الهند اليوم إلى خامس دولة صناعية فى العالم.. بالرغم من أنها أفقر من دول إسلامية كثيرة ومنها مصر.

ب - الواجب على الأمة نحو الشباب:

فرض الإسلام على الأمة التناصر فيما بينهم. أى: ينصر بعضهم بعضاً فى الشدة، ويتحدوا مع الضعيف فى وجه الظالم، ولا يتركوه حتى يوصلوا إليه حقه، ويرفعوا الظلم عنه، والإسلام فى تقريره لمبدأ التناصر يجعله فى منزلة العبادة، ولا يتركه اختياراً تطوعاً بل يعتبره التزاماً وفريضة على كل مسلم. والمسلم الصادق ليس المنطوى على نفسه لمجرد أن يتقى الناس شره، أو يتفادى شرهم، ولكنه ذلك الرجل الإيجابى الذى يقوم بالخدمة العامة والنجدة والمروءة والتضحية فى سبيل الغير، وفى سبيل المجموع، وفى سبيل الله.

والمؤمن الحق لا يعتبر نفسه مسئولاً عن نفسه وأهله وحدهم، بل هو مسئول عن كل ضعيف ومسكين ومحتاج، ومسئول عن جيرانه حتى سابع جار.. هو أب

اليتامى، وملجأ المظلوم، ومنقذ المبتلى والمصاب.. بل هو عون للإنسانية كلها.

*** **وواجب الوقت يحتم على الأمة حل مشاكل الشباب بما يأتى:**

١- يجب على الأثرياء من المسلمين الذين يملكون الأموال والمشروعات استثمار الأموال وتوسيع المشروعات القائمة كى تستوعب أكبر عدد ممكن من شبابنا.. ولا ندعهم ينحرفون وراء شعارات العلمانية اللا أخلاقية التى تستمد أخلاقها من العفن والفساد الصهيونى الغربى.. أو ينحرفون وراء التطرف الدينى خلف جماعات قتل المسلمين.. أو ينحرفون وراء التطرف الإجرامى كالسرقة والإدمان والمخدرات، فلو أن هذا الشباب احتضنته الرأسمالية الوطنية.. ما كان هناك بين الشباب منحلاً ولا متطرفاً ولا مجرماً.

٢- وكما وجب علينا أن نحذر الشباب المسلم من الزنا وأضراره، وجب علينا أيضاً أن نوفر له العمل والمسكن وأعباء الزواج.. والإسلام يلزم المجتمع بزواج أبنائه العاجزين أو غير القادرين لأن النكاح سنة ماضية، وخلق من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد كان بعض الصحابة انقطع إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يخدمه ويبيت عنده الحاجة إن طرقته فقال له ﴿ﷺ وآله﴾: (ألاتتزوج؟) قال: يا رسول الله أنا فقير لا شىء لى، وأنقطع عن خدمتك. فسكت عنه ثم عاد عليه ثانية: (ألا تتزوج؟) فقال له مثل ذلك، ثم تفكر الصحابى فى نفسه فقال: والله لرسول الله أعلم بما يصلح دنياى وآخرتى، وما يقربنى من الله عز وجل. لئن قال لى الثالثة لأفعلن، فقال له رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (ألا تتزوج؟) قال: فقلت: يا رسول الله زوجنى، قال: (اذهب إلى بنى فلان فقل لهم: إن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يأمركم أن تنكحونى فتاتكم) فقلت: يا رسول الله إنه لاشىء لى، فقال لأصحابه:

(اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب) فجمعوا له، وذهب إلى القوم فأنكحوه، فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (أو لم) فقال: يا رسول الله لا شيء عندى، فقال لأصحابه: (اجمعوا لأخيكم ثمن شاة) فجمعوا له وأصلحوا له طعاماً، ودعا له رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه) (الإسلام دين الله، للإمام المجدد أبى العزائم، ص ١٥٢،١٥٣).

فالرحيم الرحمن أعد فى توازن دقيق المجتمع المثالى الذى يؤهل لحياة أكثر إشراقاً، فالحب والرحمة والتعاون والتآزر يعد نسيجاً ينسدل على الكيان الاجتماعى الذى شبه من فرط تمازجه وترابطه بالجسد الواحد، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (ترى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (رواه مسلم)، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (المسلمون متكافئون يسعى بذمتهم أدناهم على أعلاهم) (أبو داود والنسائى والحاكم وابن ماجة).

فجعلت أركان الإسلام أركاناً خمسة لبناء ذاتية الإنسان المكرم، وهى أيضاً أركان لبناء المجتمع.. وتوالت الدعوات للتلاحم والتآزر تارة بالقول الرامز كما فى الأداء التعبدى، وأخرى بالأمر الصريح، وتارة بالإلزام الذى يبلغ درجة الفريضة وذلك عندما يدب الوهن النفسى والجسمانى، أو يقع الابتلاء بالفاقة والعوز فى الجماعة، خصوصاً من تجرى فى خلاياهم دماؤنا (الأرحام) لهذا توالت الوصايا بهم، وأوضحت أن صلة الأرحام من أهم ما يتقرب به المؤمن إلى بارئه، ولا نغالى عندما نقول: لقد أعدت الجماعة المؤمنة منذ اللحظة الأولى لرعاية ضعفائها، ورفع المعاناة عنهم.

كل هذه الأشياء دليل على أن المجتمع كله ملزم بزواج شبابه وعمله ومسكنه.. وهذا يستوجب منا كمجتمع عمل الآتى نحو هؤلاء الشباب:

أ- كل من يبنى عمارة يتبرع بشقة واحدة، أو ثمنها من كل عشر شـــقق لأحـــد أقاربه المحتاجين سواء أكان ذكراً أو أنثى، وبالإيجار الذى لا يظلم المالك ولا المستأجر- ويمكن تقديره بربع دخل المستأجر- ودون خلو أو مقدم حـــتى نتيح فرص الزواج لشبابنا.

ب- على الآباء ألا يغالوا فى مهور بناهم، وعلى البنات ألا يغالين فى اختيار أثاث منازلهن، وعلى أولياء الزواج أن يعلموا أن قائمة العفش أو المنقولات، تعـــد أبشع أنواع الابتزاز للمقبلين على الزواج، حيث تعتبر سيفاً مسلطاً على رقبة الشباب فى ظل الأرقام الفلكية التى وصلت إليها هذه القوائم، وليس لها أصل فى الكتاب أو السنة، بل هى من التقاليد المنقولة عن اليهود، وكانت تسمى عندهم (الكتوبة) وهى فى اليهودية أحد شروط صحة الزواج، حيث لا يجوز الدخول بالمرأة دون التوقيع على هذه الكتوبة مع الإشهاد عليها وهى تضـــم كل ما تدخل به المرأة من حلى وثياب ومنقولات.. إلخ.. ويضمن الرجل المحافظة على هذه المنقولات من السرقة أو التلف، ويتعهد بدفعها عنـــد أى إضرار بها، أو عند الطلاق. فأصبحت هذه الكتوبة وسيلة تعجيزية للشباب على الزواج، وسيفاً مسلطاً على أعناقهم إذا ما أرادوا اســـتخدام حقهـــم الشرعى فى الطلاق.

وأيضاً مؤخر الصداق الذى يكتب بالآلاف، بل يصل فى بعض الزيجـــات إلى الملايين مما حول الزواج إلى صفقة تجارية، وهذا ما يتعـــارض مـــع الرحمـــة والمودة التى ينبغى أن يتصف بها الزواج.. ولا يوجد له أصل فى الإســـلام أيضاً بهذه الأرقام التعجيزية، وإنما يعود إلى التأثر بالتقاليد اليهودية حيـــث لا يجوز الدخول بالمرأة دون دفع المقدم والالتزام بالمؤجل مكتوباً ومشهداً عليه، حتى يكون هذا المؤجل ذخراً لها عند الطلاق، والزواج عندهم دون مؤجـــل

باطل ويعتبر زنا كالداخل بمخطوبته. (جريدة عقيدتى، العدد ٣٣٣، ص١٦).

ج- هناك بعض الأغنياء ينفقون أموالهم فى اللهو والفسق، وهؤلاء يتعين عليهم الإقلاع نهائياً عن ذلك، حتى يرضوا الله ورسوله، وأن يجعلوا هذه الأموال، أو جزءاً منها للإنفاق فى حل مشاكل الشباب، ورفع العناء عنهم، وتخفيف أعباء الحياة.

(د) إن متوسط ما ينفقه شخص مدخن على التدخين خلال ٣٥ سنة حوالى ٤٠ ألف جنيه، ولو افترضنا أن عدد المدخنين حوالى ثلث الشعب المصرى فإن ما ينفقونه على التدخين سنوياً حوالى ٣٢ مليار جنيه، وعلى مستوى العالم الإسلامى ٦٤٠ مليار جنيه.. وذلك بخلاف المخدرات ما يؤكل منها وما يشرب وما يشم.. ثلث هذه المبالغ يذهب إلى خزينة أمريكا وإسرائيل، واقرأ تلك العبارة المكتوبة على علبة السجائر (صنعت من أجود أنواع الأدخنة الأمريكية والشرقية) والشرقية تعنى إسرائيل، فالمدخن يساعد أعداء دينه على قتل إخوته المسلمين، وهذه خيانة للدين والوطن، بل ويعتبر فاعلها موالٍ لأعداء الله ورسوله ويخرج بذلك من دينه لقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾.

فلو أقلع الفرد المسلم عن التدخين لوفر لأولاده ٤٠ ألف جنيه يبدأون بها حياتهم.. ولو أقلع المسلمون عن التدخين لاستطعنا إنشاء مئات المصانع التى ستحل مشكلة البطالة خلال فترة قصيرة جداً، وكذلك إنشاء العديد من العمارات لحل أزمة الإسكان.. ناهيك عن حماية الأفراد والأسر من أمراض التدخين المدمرة، وعدم موالاة الأعداء.

هـ- لو افترضنا أن فى مصر ١٢ مليون أسرة، ربعهم يؤدى الزكاة بمتوسط

١٠٠٠ جنيه سنوياً، فإن الناتج يكون ثلاثة مليارات من الجنيهات.. فكم مصنع وكم عمارة تشيد بهذه الأموال؟!!.

أما عن زكاة الزروع فيمكن تكوين لجان لجمعها فى كل قرية أو مركز أو محافظة بمتوسط ٥٠ جنيه للفدان الواحد سنوياً..ونحن نعتقد أن هذه الأموال سوف تساهم مساهمة كبيرة فى حل مشاكل البطالة والسكن والزواج بالنسبة للشباب.

و- نهيب بالأخوة الذين يشيدون المساجد والمعاهد والمدارس أن يبنوا عمارات للشباب ليسكنوا فيها بدلاً من المساجد الخاوية، أو المعاهد التى لا تُعلم ولا تجد التلاميذ الذين يدخلونها.. وأجرهم على ذلك لا يقل عن أجرهم فى بناء المساجد والمعاهد.

(ز) نناشد الأخوة الذين أدوا فريضة الحج وزاروا المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ ويريدون العودة مرات ومرات أخرى للتمتع والزيارة، أن ينفقوا أموال هذه الزيارات فى حل مشاكل شبابهم لأنها أولى وأهم، خصوصاً بعد إسقاط الفريضة عنهم.

ولو أحصينا عدد حجاج بيت الله الحرام فى مصر سنوياً كمثال، لوجدناهم ٧٠ ألف حاج، ثلثهم من المداومين على الحج حوالى ٢٣٣٠٠ حاج، ينفق الواحد منهم حوالى عشرة آلاف جنيه.. وعلى هذا فإن إجمالى هذه المبالغ ٢٣٣ مليون جنيه.. يمكن عن طريقها عمل الكثير لشبابنا.

ولنا فى الإمام عبد الله بن المبارك المحدث والفقيه المثل الصادق فى فهم حقيقة الإسلام.. عندما كان مع أصحابه فى الطريق لحج بيت الله الحرام للمرة الثانية فرأى امرأة تخفى بطة ميتة فى ثوبها، فسألها: لم فعلت ذلك؟ فقالت: مات زوجى وترك لى أولاداً صغاراً جوعى، وأنا أحمل هذه البطة الميتة كى

أطعمهم إياها. فما كان منه إلا أن أخرج ماله الذى يريد أن يحج به وأعطاها إياه، ورجع إلى بيته.. ولما انتهى أصحابه من أداء الفريضة.. جاءوا يهنئونه على الحج ويقولون له: ما أعظم دروسك وأحاديثك التىكنت تلقيها علينا أثناء أداء الفريضة، وهو يتعجب.. فرأى النبى ﷺ وآله﴾ فى ليلته يقول له: ﴿لقد خلق الله ملكاً على صورتك أدى عنك الفريضة وكتب لك أجر سبعين فريضة جزاء صنيعك بالمرأة وأولادها).

ح- إذا جاء رمضان، كثرت موائد الرحمن، وتاقت النفوس الكريمة إلى الغفران.. وصرفت الملايين على الشحاذين والنصابين والمتسولين ومدعى الفقر والمرض.. حوالى ١٠٠ ألف مائدة رحمن بالقاهرة والأسكندرية وحدهما كل ليلة فى شهر رمضان، متوسط الإنفاق على المائدة الواحدة ألف جنيه، وهذا يعنى أن ما ينفق كل ليلة حوالى ١٠٠ مليون جنيه، وما ينفق طوال شهر رمضان ٣ مليار جنيه.. فكم يفعل هذا الرقم الضخم فى حل مشاكل شبابنا؟!!.

ط- بعض الأثرياء من المسلمين يقيمون أفراحهم فى الفنادق الكبرى، والتى تصل فى بعض الأحيان إلى الملايين، تنفق على النفاق والرياء، والراقصات، والفنانين والفنانات. وهذا نوع من الإسراف والبذخ الذى نهت عنه الشريعة الإسلامية، وصاحبه محاسب لا محالة عنه يوم القيامة، فلو وجهت نسبة من هذه الأموال إلى حل مشاكل الشباب لكان ذلك خير وأجدى.

ى- نرى كل يوم على صفحات الجرائد الحكومية المصرية- الأهرام والأخبار والجمهورية- ما يتراوح بين ٤-٥ صفحات للوفيات، تكلفة الصفحة الواحدة ٤٠٠ ألف جنيه أى: بمعدل ١,٦-٢ مليون جنيه مصرى يومياً، أغلبها تنشر نفاقاً ورياءً للوزير الفلانى أو المحافظ الفلانى أو رئيس مجلس

الإدارة لشركة معينة وغير ذلك، وهى أموال بلا شك مهدرة ولا تفيد الميت فى شيء، ونقترح أن يتم التبرع بشقة أو بجهاز للزواج لأحد أقارب المتوفى على روحه الطاهرة، وهذا سيكون أجدى وأنفع.

ك- العودة لزواج الشباب فى بيوت أبائهم، وفى حجرات داخل البيت كما كان الحال سابقاً، لتيسير الزواج.

الخلاصة: إن واجب الوقت يقتضى أن نقدم شبابنا على أى شيء آخر، والإسلام قدم واجب الوقت على فرض الوقت، ومثال ذلك لو نودى للصلاة فإن المسلمين يتجهون للمسجد لأداء فرض الوقت، ولو قام حريق لوجب عليهم أن يتركوا فرض الوقت ويتجهوا لإطفاء الحريق أولاً لأنه واجب الوقت.

وعلى هذا نقول: إن مشاكل شبابنا هى واجب الوقت الآن، وما عداها فرض الوقت.

لأننا إذا لم نحم شبابنا من الضياع ستضيع الأمة.. لأن أمة بلا شباب تساوى أمة بلا مستقبل.

ثالثاً: بناء المجتمع المسلم:

لا يقوم بنيان المجتمع المسلم المنشود إلا على أساس متين من الأفراد الصالحين أصحاب العقيدة الحقة، وكذلك من الأسر المسلمة الصالحة، التى علم كل عضو فيها الدور المنوط به فقام به خير قيام، وأداه على أكمل وجه وأتمه.

حين يوجد ذلك يوجد المجتمع المسلم من تلقاء نفسه، دون ما حاجة إلى حركة انقلابية ثورية، ودون ما إراقة قطرة دم واحدة، ذلك أن العنصر الطيب بطبيعته يدفع العناصر الخبيثة بعيداً إلى زوايا الإهمال والنسيان وانعدام التأثير، قال تعالى: **﴿ليميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله**

في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ (الأنفال: ٣٧)٠

ويقول تعالى: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهـــق ولكـــم الويل مما تصفون﴾** (الأنبياء: ١٨)٠

والمجتمع المسلم له مواصفات وأسس يقوم عليها، لابد من معرفتها حتى نســعى جميعاً لتحقيقها فى شتى المجالات، ونقدم فيما يلى مواصفات هذا المجتمع المنشود:

مواصفات المجتمع الإسلامى المنشود

ذكرت الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة ما يمكن أن يطلق عليه مواصفات المجتمع المسلم، فى كافة مجالات الحياة:

(١) فى المجال السياسى:

الانقياد لحكم الله وشرعه:

إذ أن ما شرعه الله عز وجل لعباده هو المنهج الأمثل والطريق الأقوم، كما قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾(المائدة:٣).

وما عدا الشرع الإلهى الحكيم فهو (الهوى) الذى حذر القرآن من اتباعه فى كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ۞ أفحكمَ الجاهلية يبغون ومن أحسنٌ من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾ (المائدة: ٤٩-٥٠).

(ب) العدل:

لأن الله تعالى قد أمر به فى كافة المجالات والأوقات، فقال: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**﴾ (النحل: ٩٠). فلا ينبغى أن يغيب العدل بسبب القرابة أو المترلة الدنيوية،

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى):

(كم دانت دولة على غيرها بالقوة القاهرة، فما فرحت بالملك إلا وأتاها العذاب من حيث لا تحتسب، فأصبحت لا ترى إلا مساكنهم، وخير الملك ما أسس على العدل والمساواة والحرية، وإن الخلق لينظرون إلى الأقوال والأعمال الظاهرة، ولكن الخلاق العظيم ينظر إلى القصود والنوايا، متى أراد أن يترع الملك من دولة سلبت من قلوب أهلها الرحمة بخلقه، والشفقة على عباده، فظلموا وتكبروا فى الأرض بغير الحق، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، أعوذ بالله من سلب النعمة، ومن الغرور بالقوة، ومن قصد الشر بعباد الله، وكم من دولة ارتفعت حتى ملكت الأرض شرقاً وغرباً، وظلمت العباد انتقاماً وظلماً، فصب عليهم المنتقم القهار النقم من السماء والأرض، وفرق كلمتهم، وألقى بينهم العداوة والبغضاء، فبادوا كما باد فرعون ونمروذ وبابل وآشور وملك اسكندر وملك الروم، والملك لله الواحد القهار، يهب الملك بفضله ويترعه بعدله، لا معقب لحكمه، وتلك سنة الله فى خلقه، قال الله تعالى: ﴿**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ۝ ونمكن لهم فى الأرض**﴾ (القصص: ٥-٦)٠

الظلم مرتعه وخيم، بالعدل يدوم الملك ولو مع الكفر، والظلم يمحق الملك ولو مع الإيمان، وإن ظن الجاهل بأسرار الكون وحكمة إيجاده- لقصر عقله- أن الظلمة لا يزالون، فإن الحقائق تكذبه، ومن نظر بعينه فى تواريخ القرون السابقة وما فعل الله بالأمم الجاهلية والأمم المبدلة والأمم المضلة؛ يحكم يقيناً أن كل أمة ظلمت محقت)٠

(ج) الشورى:

وهى من أهم الدعائم التى يقوم عليها النظام السياسى فى المجتمع المسلم، بل الحق أنها صبغة الحياة الإسلامية فى جميع المجالات، وليس أدل على ذلك من تعبير القرآن الكريم فى السورة التى سميت بهذا المبدأ العظيم، إذ جاء الحديث عن الشورى فى سياق تعداد صفات المؤمنين فى قوله تعالى: ﴿**فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون* والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون *والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون**﴾ (الشورى: ٣٦-٣٩).

فالتعبير القرآنى يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة.

ويتحدث القرآن عن موضوع الشورى فى موضوع آخر فى القرآن فى قضية فطام الطفل الرضيع، إذ يقرر فطام الرضيع بعد التشاور والتراضى من جانب الزوجين، فيقول تعالى: ﴿**فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير**﴾ (البقرة: ٢٣٣).

ومن هنا يتبين أن الشورى منهج الحياة السائد فى المجتمع المسلم من قاعدته إلى قمته، أى من الشئون المنزلية الصغيرة إلى نظام الحكم وشئون القيادة، فالله تعالى قد أمر حبيبه ﴿ﷺ وآله﴾ بمشاورة أصحابه فقال: ﴿**فبما رحمة من الله لِنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾ (آل عمران: ١٥٩). هذه الآية نزلت فى أعقاب هزيمة أحد، لتؤكد للأمة أن الشورى أساس

الحكم، وأن الأمة إذا خسرت معركة نتيجة الشورى فذلك خير من أن تخسر الأمة شخصيتها ويتحكم فرد بعد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى مقدراتها ودمائها وأموالها وأعراضها.

(د) الحرية:

كفل الإسلام حق الحرية الكاملة للإنسان بكافة صورها، ومن جميع جوانبها كحق من حقوق الإنسان فى الإسلام:

١- **حرية العقيدة**: وهى أعلى صور الحرية وأهمها، لأنها تتعلق بأهم وأعظم جوانب الحياة الإنسانية، وقد بين الإسلام أن الإنسان حر فى اختيار عقيدته والدين الذى يؤمن به، إذ لا إكراه فى اعتناق عقيدة الإسلام.. قال تعالى: ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقال تعالى: ﴿**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ (الكهف: ٢٩).

٢- **الحرية الفكرية**: ترك الإسلام المجال فسيحا أمام الفكر الإنسانى فى هذا الكون ليستخلص منه كل ما يعود عليه بالنفع العظيم فى حياته ورقيه وتطوره، فقال تعالى ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ (فصلت:٥٣). وقد فتح الإسلام باب الاجتهاد فى أحكام القضايا التى لم يرد فيها نص صريح. ويمتاز الإسلام بأنه النظام الوحيد الذى يعطى للمخطىء من الأجر والثواب إذا أخطأ فى اجتهاده مع توافر النية الحسنة واستفراغ الجهد المتاح، يقول ﴿ﷺ وآله﴾: (إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران) (الشيخان).

٣- **الحرية السياسية**: وهى تعنى حق الإنسان فى ولاية الوظائف الإدارية-

صغراها وكبراها- ما دام بكفايته أهلاً لتوليها، وتعنى كذلك حق كل إنسان أن يبدى رأيه فى سير الأمور العامة وتخطئتها أو تصويبها وفق ما يعتقد اعتقاداً جازماً أنه الحق، وقد كفل الإسلام هذا الحق بأن جعل لكل إنسان الحق فى أن يتطلع إلى تقلد أعلى المناصب وأرفع الوظائف، طالما تحقق فيه الورع والكفاية، ولا يغنى أحدهما عن الآخر.. ولهذا حذر النبى ﷺ وآله﴾ أبا ذر ﷺ من الإمارة، باعتبارها أمانة كبرى ومسئولية عظمى.. عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟! قال: فضرب بيده على منكبى، ثم قال: (يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها) (أخرجه مسلم وأحمد).

ويجب على الدولة أن تجعل الفرصة أمام الجميع متساوية، بعيداً عن المجاملات والرشاوى وغيرها من وسائل الانحراف، يقول ﴿ﷺ وآله﴾: (من استعمل رجلاً على عصابة، وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) (أخرجه الحاكم والسيوطى).

ومن حق أى إنسان أيضاً أن يبدى رأيه فى أمور الدولة والسياسة، مادام متقيداً بالأسلوب المثالى فى إسداء النصيحة وإبداء الرأى.. وقد أخذ النبى ﴿ﷺ وآله﴾ برأى سلمان الفارسى ﷺ بحفر الخندق حول المدينة لمواجهة جموع الأحزاب.

٤- **الحرية المدنية**: ويقصد بها كل التصرفات النابعة من شعور الإنسان بذاته وضرورة اعتراف الجماعة بشخصه وأهليته المطلقة للتصرف وفق ما يريد.. وعلى أساس هذه الحرية، يملك كل إنسان أن يقيم حيث يشاء، وأن يسافر متى شاء، وأن يجتمع بمن يريد الاجتماع بهم، وأن يحوز من المال ما يكسب، وأن يحترف من المهن ما يهوى، وأن يباشر العقود التى يرى إبرامها، ويفسخ التى يريد أن يفسخها، من بيع وشراء ووكالة وكفالة وإيجار.. إلخ، وذلك

كله- بداهة- وفق قانون يمنع الضرر والعدوان، حتى لا يشتط أحد فى استخدام حريته فيؤذى الآخرين وينال من حرياتهم هم.

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى):

الحرية لغة: عدم حبس النفس للانتفاع بها، **واصطلاحاً:** خلوصها من قيود الرق والاستعباد والذلة والاضطهاد. وهى بهذا المعنى صادقة على الفرد والجماعة، فالأمة لا تعد حرة ولا تعتبر مستقلة إلا إذا كان لها تصرف عام فى جميع شئوها، وتدبير خاص فى أحوال معاشها، ومتى كانت كذلك نالت بغيتها وبلغت أمنيتها، وحق لها أن تنافس غيرها من الأمم المجاورة لها والنائية عنها، أما إذا فقدت هذا المجد الميسور باستسلامها لعدوها وتسليمها إياه قيادة أمورها، فقلّ أن تبلغ أملاً من آمالها، أو تنال غرضاً من أغراضها، بل إنها تعيش عيشة مرة تسام فيها الخسف والجور، وتعدم بسببها العزة والنعمة.

ثم يتساءل الإمام رضى الله عنه:

بم تنال الحرية؟

ويجيب: قد علمت مما سبق أن الحرية عبارة عن خلوص حركات النفس وتصريفها بالإرادة فى وجوهها المشروعة، فإذا وجدت هناك ضواغط تمنع الاختيار بتاتاً، أو تخرج به عن خلال الاعتدال، فقل على الحرية السلام، وحينئذ يجب على الفرد أو الأمة التى فقدت هذا المجد، وذهب عنها هذا الشرف، أن تتخذ أنجع الوسائل فى الحصول عليها، والسعى فيما يقرب إليها، وهذه الأسباب وتلك الوسائل أهمها ما يأتى:

١- حب الفضائل وبغض الرذائل، والمحافظة على حقوق الله تعالى حسبما فى

الإمكان والاستطاعة.

٢- الاتحاد بين الأفراد والجماعة.

٣- تحسين الصناعة، وترويج البضاعة، وتخصيب الزراعة.

٤- الاستغناء بمحصولات البلاد ومصنوعاتها ومنتجاتها عن الأشياء المجلوبة من الخارج.

٥- استعمال قوة الاختراع فى الماديات التى لا تستغنى الأمة عنها غالباً.

أما عن نتائج الحرية فيقول الإمام رضى الله عنه:

نتيجة الشيء عبارة عما يؤول إليه من خير أو شر، ولا تنتج الحرية إلا خيراً محضاً يكاد أن ينحصر فيما يلى:

١- الفرد أو الأمة متى كانا حرين أمكنهما أن يعملا بجد ونشاط فيما يحسن به أمر معاشرهما، وتحصل به سعادهما ويعم به الخير لبلادهما.

٢- إغلاق باب الشرور والمفاسد، فإن الأمة المستعمرة تعمل دائماً على إيقاع الضرر بمن استعبدهم وأذلتهم، ولا سبيل لدفع هذه المصائب ورد هذه المحن إلا باستقلال النفوس وجولاها فى ميدان الحرية، وسيرها على مقتضى الطبيعة البشرية، فإن الذل أمرّ على النفس من الحنظل، وأثقل عليها من الجندل.

٣- إذا أطلقت النفوس من قيود استعبادها؛ وصارت لها الخيرة فى تصريف حركاها وسكناها، فلا غرو أنها تعمل أعمالاً يبتسم لها الدهر، وتمجدها الأيام، ويسجلها التاريخ، ويكون لها الفخر على سائر الأمم بما ينالها من العز والمنعة والقهر والسلطان، وتصير أيضاً قدوة ومثالاً حسناً للأمة المجاورة لها والنائية عنها، بل يضرب بذكرها المثل فترتفع بذلك فوق عنان السماء، وتناطح بشرفها ورفعتها الجوزاء، ونعمت أمة هذا حالها.

يا معشر المسلمين: إنى لكم ناصح أمين، فاستيقظوا من غفلتكم، وتنبهوا من رقدتكم، وشمروا عن ساعد جدكم، وسيروا على منهج سلفكم، حتى تعيدوا مجدكم والله ولى المؤمنين.

(وسائل نيل المجد الإسلامى، للإمام المجدد أبى العزائم، ص١٥٧،١٥٨).

(هـ) المساواة والإخاء:

يعد هذا الحق مع الذى قبله منظومة واحدة أو هى ثلاثية: الحرية والإخاء والمساواة، التى تعلن كل منظمة أو ثورة أنها تسعى إلى تحقيقها، بينما هى فى الإسلام متحققة على أكمل وجه وأتمه. وقد مضى الحديث عن الحرية فى العنصر السابق، والحديث الآن عن الإخاء والمساواة، الإخاء العام بين البشر، والمساواة التامة بينهم فى أصل الإنسانية.

ففى نظر الإسلام، يعد البشر المنتشرون فى جميع القارات أسرة واحدة، انبعثت من أصل واحد، لا مكان بينهم لتفاضل فى أساس الخلقة وابتداء الحياة.. قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً**﴾ (النساء:١).ولا نكران أن البشر يختلفون فى لغاتهم وألوانهم من الناحية العامة، لكن هذا الاختلاف لا يؤبه له، ولا يخدش ما تقرر من تساويهم فى الحقيقة الإنسانية الأصيلة، وقد رفض الإسلام رفضاً حاسماً أن يكون ذلك مثار تفرقة أو سبب انقسام، بل جعله آية على إبداع الخالق سبحانه فقال تعالى: ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين**﴾ (الروم: ٢٢).

كما أن لون البشرة- فى نظر الإسلام- لا ينبغى أن يكون عاملاً من عوامل

التفرقة بين الناس فالنبى ﷺ وآله غضب غضباً شديداً حينما اشتم رائحة التفرقة العنصرية فى قول أبى ذر الغفارى رضي الله عنه لأحد السود: يا ابن السوداء. وقال له النبى ﷺ وآله: (أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية) وقال له كذلك: (طف الصاع، طف الصاع.. ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح) (أخرجه الطحاوى فى مشكل الآثار ٣٦٣/٤، والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٣٧٥/٨).

وقد كان النبى ﷺ وآله يقرر مبدأ الإخاء البشرى ويؤكده كل يوم أبلغ تأكيد وأوثقه، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبى ﷺ وآله كان يقول دبر كل صلاة: (اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك. اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك. اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة) (أخرجه أحمد).

وبقيت نقطة أخيرة فى مسألة المساواة الإنسانية، وهى المساواة بين الجميع فى الناحية القانونية، فالكل أمام القانون سواء، لا فرق بين غنى أو فقير، حاكم أو محكوم، أمير أو من عامة الناس.. فهذا رسول الله ﷺ وآله يغضب أشد الغضب حينما أراد أسامة بن زيد رضي الله عنه أن يشفع لامرأة مخزومية سرقت، فقال له رسول الله ﷺ وآله: (أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة؟! إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.. وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) (البخارى ومسلم).

٢- فى المجال الاقتصادى:

أ- العمل المتواصل ومحاربة البطالة: فالقرآن الكريم والسنة المطهرة يحثان على العمل ويشجعان على الإنتاج، فى الوقت الذى يحاربان فيه البطالة والمسألة، فلقد قال الله عز وجل: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ (التوبة: ١٠٥).

وقال ﴿ﷺ وآله﴾ : (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده) (البخارى وأحمد).

وحينما جاءه أحد الناس يسأله الصدقة أعطاه درساً عملياً فى العمل والإنتاج والابتعاد عن ذل المسألة فقال: (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهة مزعة لحم) (البخارى) مزعة: قطعة.

وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه) (مسلم والنسائى وأحمد).

ب-قيام المعاملات المالية على الصدق والأمانة وإتقان العمل: لقول النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (الترمذى والحاكم والسيوطى). وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما) (البخارى ومسلم).وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

ج- تحريم الربا بجميع أشكاله: لما يترتب عليه من أوخم العواقب، ليس على الاقتصاد فحسب، بل على جميع مجالات الحياة فى المجتمع، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه

الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظةٌ من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۞ يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ۞ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ۞ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلِمون ولا تُظلمون﴾ (البقرة: ٢٧٥-٢٧٩).

وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه (ابن ماجة).

** يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم فى كتابه (قضايا عصرية): (إن الله تعالى ليسلب من المرابى البركة والنمو والأجر والثواب، بل يسلب الإيمان، فكأن الربا ماحق ممحوق، وذلك لأن مراد المرابى الزيادة فيحرم فى عافيته وأولاده، وفى ماله أيضاً، وفى دينه، وكفى المرابى تعسة أن الله تعالى حكم عليه بما حكم به على الكافرين، لأن الجحود بالله والاستهانة بأحكامه سواء عند الله تعالى). (قضايا عصرية: ص٢١٥).

د- الابتعاد عن الغش والتدليس: لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾ (الأنفال: ٢٧).ولما روى عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أنه أدخل يده فى صبرة طعام فوجده مبتلاً، فنادى صاحب الطعام وقال له: (هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا) (مسلم).

هـ- الابتعاد عن الاحتكار: لما له من أسوأ الآثار على المجتمع، يقول النبى

ﷺ وآله: (لا يحتكر إلا خاطىء) (مسلم).

و- تذويب الفوارق بين طبقات المجتمع: وذلك بتحقيق التكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع من خلال وسائل عدة من أهمها:

١- **الزكاة الواجبة:** وهى تشمل: الثروة الزراعية- الحيوانية- المعدنية- التجارية وغيرها.. وهى تمثل ركناً من أركان الإسلام، وتسهم بنصيب أساسى فى تحقيق التكافل الاجتماعى.

٢- **الكفارات الواجبة:** إذ أوجب الإسلام على من يقع فى بعض الذنوب كفارة مالية يستفيد منها الفقراء والمساكين فى المجتمع، مثل كفارة اليمين، وكفارة الظهار وغيرها.

٣- **الصدقات التطوعية:** فقد ندب الإسلام أتباعه إلى الإنفاق فى وجوه الخير، وبين القرآن الكريم عظيم ثواب هذا الإنفاق فى كثير من آياته البينات، يقول تعالى: ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**﴾ (البقرة: ٢٦١).

بل إن القرآن الكريم يجعل هذا الإنفاق حقاً للفقراء والمساكين، فيقول تعالى فى صفات المتقين: ﴿**وفى أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ (الذاريات: ١٩). وبالتالى فلا يمتن الغنى بإنفاقه، ولا يجرح مشاعر الفقراء، لأن هذا يحبط ثواب عمله، ويجعله هباء منثوراً.

ز- تشجيع الاستثمار وتحريم الاكتناز وحبس رأس المال: إذ يحرص الإسلام حرصاً بالغاً على أن يأخذ رأس المال دورته فى المجتمع، باستثماره فى مشروعات كثيرة يعود نفعها إلى سائر الطبقات من خلال تشغيل الأيدى العاملة، وتحقيق معدلات إنتاج مرتفعة، وإيجاد الرواج الاقتصادى وانتعاش الأسواق،

والقضاء على معدلات التضخم والركود، والقاعدة الإسلامية العظيمة فى هذا المضمار هى: ﴿**كى لا يكون دُولَة بين الأغنياء منكم**﴾ (الحشر: ٧). أى: لئلا يكون تداول المال محصوراً فى طائفة أغنياء المجتمع دون غيرهم. ويقول تعالى فى بيان تحريم الاكتناز وحبس رأس المال: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ۞ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾ (التوبة: ٣٤-٣٥).

٣- فى المجال الاجتماعى:

أ- الأخوة: فالمسلمون جميعاً تربطهم الأخوة الإيمانية، مهما تباعدت ديارهم أو اختلفت أوطانهم، أو تعددت أشكالهم.

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (شراب الأرواح) ص٤٩، واصفاً أهل الأخوة الإيمانية:

(الإخوان هم هياكل متعددة، سرت فيهم روح واحدة، كالجسد الواحد تعددت أعضاؤه ولكنه واحد، فإذا تألم عضو منه شعر بالألم كل الجسد، فكذلك الإخوان يتألمون جميعاً لألم أحدهم، غنيهم فقير لأنه يؤثر الفقير على نفسه، وفقيرهم غنى لكمال ثقته بربه، صفت قلوبهم فتجملت ظواهرهم، فإذا رأى الأخُ الأخَ كأنه أشرقت عليه أنوار، فانبسط وانشرح وصافح وفرح، فيزداد نوراً على نوره، وحالاً على حاله، وعلماً على علمه، يبذل كل أخ لأخيه ما يجد من وجد أو موجود، فيغذى الأخُ أخاه بعلمه، والآخر يغذيه بخبزه، فلا يقابل أخٌ أخاً إلا وفتحت أبواب السماء بالبركات، وهطلت الأرزاق والفتوحات، نزع الله ما فى صدورهم من غل، وما فى قلوبهم من طمع، لأنه سبحانه هو المحبوب لهم فى

أنفسهم وما تقولون فى اثنين تقابلا على شوق فى الله ومحبة فى الله وبـــذل فى ذات الله؟ هذا يبذل لأخيه ما به سعادته الأبدية من علم وحال وخلق حسن، والآخــــر يبذل له نفيس طعامه وشرابه وماله، وما تقولون فيمن تحقق فيهم قوله ﴿ﷺ وآله﴾ فى الحديث القدسى عن الله تعالى: ﴿**المتحابون فىَّ والمتباذلون فىَّ والمتــــزاورون فىَّ على منابر من نور يغبطهم الملائكة والأنبياء لقربهم مـــن الله** ﴾ (الســـيوطى فى الصغير).

وليس هذا الوصف العلى موجوداً إلا فى الصديقين وأبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام، فكل أخ يعامل إخوانه بهذا فهو من الصديقين، ومن أبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام) أ.هـــ.

ب- المحبة: الشعور السائد بين المؤمنين جميعاً هو المحبة الخالصة، المـــبرأة عـــن أغراض الدنيا الفانية فهى محبة لله وفى الله، والله تبارك وتعالى هو الذى يقذف نور هذه المحبة فى قلوب المؤمنين، ووجود هذه المحبة وتحققها شرط من شرائط الإيمـــان وتمامه، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحـــب لنفســـه) (البخارى ومسلم) ويقول أيضاً: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) (الطبرانى والهيثمى وأحمد والترمذى).

ج – التعاون: لا شك أن من ربط الإيمان بين قلوبهم وتأصلت أواصر المحبـــة الإيمانية فى أفئدهم، سيكونون فى جميع أحوالهم يداً واحدة، يقيل بعضـــهم عثـــرة بعض، ويأخذ كل واحد بحجز أخيه، يعاضده ويؤازره ويسانده، استجابة للأمـــر الإلهى الكريم: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعـــدوان**﴾ (المائدة: ٢).

وتطلعاً إلى الثواب العظيم الذى تحدث عنه المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ فى حديثـــه الشريف الذى يقول فيه: (من مشى فى حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكافه عشر

سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخافقين) (الهيثمى والطبرانى فى الأوسط).

بل يدعو النبى ﴿ﷺ وآله﴾ المسلم إلى ألا يحتقر خيراً يمكنه أن ينفع به مجتمع المسلمين، ولو أن يزيل الأذى عن طريقهم، فيقول: (مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن طريق المسلمين؛ لايؤذيهم، فأدخل الجنة) (مسلم). وسأله أبو برزة الأسلمى رضي الله عنه قائلاً: يا نبى الله، علمنى شيئاً أنتفع به. قال: (اعزل الأذى عن طريق المسلمين) (مسلم).

فتصور مجتمعاً بهذه الروح العالية، بهذه المشاعر السامية، بهذا التواصل الفياض، لتعرف أن الإسلام يصنع مجتمعاً من الأطهار الأبرار، يعلو ويعلو حتى يدانى الملائكة، ويرتفع فوق حظوظ النفس والأنانيات القاتلة المهلكة.

د- الإيثار: ما من شك فى أن المجتمع المتآخى المتحاب المتعاون لابد أن تشيع فيه روح الإيثار، هذا الخلق الذى خلد الله تعالى به ذكر الأنصار فى آيات قرآنية تتلى ويتعبد بها، مسجلة لهم هذا الموقف العجيب، يقول تعالى بعد أن تحدث عن المهاجرين وفضلهم: ﴿**والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ (الحشر: ٩).

هـ- التناصح: من شأن المجتمع المسلم أن يتناصح أفراده، فيما بينهم، لأن النصيحة السديدة الخالصة لوجه الله هى إحدى ضمانات بقاء المجتمع مستقيماً محفوظاً من الخسران والدمار، وفى سورة العصر إشارة إلى هذا المعنى، إذ يقول تعالى: ﴿**والعصر ۝ إن الإنسان لفى خسر ۝ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ (سورة العصر).

ومن هنا فلا عجب أن يقول النبى ﴿ﷺ وآله﴾ : (الدين النصيحة) ويسأله

الصحابة الكرام: لمن؟! فيقول: (لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم) (مسلم).

إن التناصح، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، كل ذلك يوفر للأمة النقد الذاتى، الذى يكشف للأمة عن عيوبها، فتتلافاها وتتفادى آثارها، ويكشف لها عن محاسنها فتتقدم إليها، كما أنه يربط بين أفرادها برباط الحب، إذ ليس التناصح تصيداً للعيوب، ولكنه تسديد وإرشاد وهداية بالحكمة والموعظة الحسنة، فى إطار من الحب والمودة.

وعلى هذا نشأ المجتمع الإسلامى الأول، يقدم النصيحة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، دون أن يخشى فى الله لومة لائم.

٤- فى المجال العلمى:

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى):

(لم تنحصر خيرات الإسلام على المسلمين، بل تعدهم إلى جميع الأمم، كان أكثر الناس انتفاعاً بعلوم الإسلام أوربا الحديثة وأمريكا، فإنهم انتفعوا بعلوم الأندلس واكتشافاهم التى أسعدت بنى الإنسان، وبالعلوم التى سلبوها من المكاتب الإسلامية فى الحروب الصليبية، وما أخذه نابليون من خزائن الأزهر الشريف، وقد أهمل المسلمون تحصيل تلك العلوم المفيدة، وقضت سياسة الملوك منهم أن يشغلوا العلماء بدرس الأحكام مجردة عن الحكمة، وعن العلوم التى فرضها القرآن من النظر والتدبر والفكر، وعلوم الأخلاق، وعلوم النفس، ومعرفة الله تعالى، وعلوم تدبير الفرد والمترل والمدينة، والمجتمع العام، والعلوم العقلية التى ها فتح كنوز المادة، ومعرفة خواص كل نوع منها، وأنها خزائن للنعم، يفتحها العلم والعمل، وقد

فرض الله كل تلك العلوم وأوجبها على كل مسلم فى القرآن، قال سبحانه: ﴿**قل انظروا ماذا فى السموات والأرض**﴾ (يونس: ١٠١).

فكان المسلم المتمسك بالدين يحيط بكل أنواع العلوم، ويعتقد أنه يجهل من كمال ربه وقدرته وحكمته بقدر ما يجهل من أى علم من العلوم، وكانوا يولون أهل العلم الولايات، فيكون الوالى إماماً وقائد الجيش، وطبيباً وعالماً بسير الأفلاك وتغيير الفصول، وقد نظر والٍ من الولاة مد البحر، وكان يجهل المد والجزر، قال: هذه تكفينا صيفتنا، ظناً أنه ماء عذب، فبلغ الخليفة فعزله لجهله بتأثير الكواكب على البحر.. لم يبلغ الإنسان مقام الشرف والمجد إلا بالإسلام.. وقد ترك المسلمون العمل بوصايا الإسلام فذلوا لمن كانوا أتباعاً لهم، وترك غيرهم دينهم فعزوا ورقوا فى الأرض لأخذهم بأعمال المسلمين الكونية، وإنى على يقين أن تلك الأمم قريباً يظهر لها الحق جلياً فتسارع إلى الإسلام، وكيف لا؟ والإنسان مفطور على حب الحرية والمساواة، ومجبول أن يحكم على الأشياء بعقله، وكلما أظهرت الصناعات والفنون ما كنزه الله للخلق فى المادة كلما فكت الأغلال من عنق العقل، فحكم أن الدين الإسلامى هو الدين الحق، وأن ما سواه لايقبله العقل.

ومن حكم أن الدين الإسلامى لا يحث على تحصيل العلوم كذبته الحقائق، والواجب على المسلمين فى هذا العصر بعد أن شهد أعداء الدين بأحقيته، وسارع فيه كثيرون من أمريكا وأوربا، أن يسارعوا إلى الحق والعمل به، ليكونوا أئمة لمن ستنكشف لهم أنوار الإسلام قريباً، بل وليكونوا متمتعين بالحياة الإسلامية الفاضلة، مسارعين إلى نيل السعادة الباقية فى جوار الأخيار ممن عملوا بالإسلام ونشروا فضائله وآدابه وأصوله بين الأمم، والأمر سهل والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

لقد أخذت أوربا عن المسلمين نشاطهم فى الصناعة، ومسارعتهم إلى فتح كنوز

المادة، وشجاعتهم، وتركت العقيدة الحقة، والعبادة التى تجعل المسلم ذا رحمة وعفو وإحسان، وإيثار لغيره، وتركت الأخلاق الفاضلة التى بها حياة المجتمع فى حرية ومساواة وأمن على النفس والمال والعرض، فخبثت النفوس، وانكسفت أنوار العقول، وتسلط الحس على النفس والعقل، فهبط الإنسان إلى رتبة البهائم شهوة وإباحة، والسباع جرأة ووقاحة، والشياطين كيداً وخبثاً، فاستخدم العقل والنفس لهذا القصد حتى انمحى شرف الإنسانية فى نظرهم، وحكموا أنهم قردة ارتقت كما قال دارون تكذيباً للكتب السماوية، وكذلك تفعل العلوم التى يفاخرون بها. والعلوم- ياقوم- صور ترسم على جوهر النفس، تجذبها إلى الارتفاع عن الإنسانية إلى الفضائل الملكوتية، بل وإلى ما فوق ذلك من التخلق بأخلاق الله». (وسائل نيل المجد الإسلامى، ص١٨٠-١٨٣).

٥- فى المجال العسكرى:

لابد أن يحرص المجتمع الإسلامى أشد الحرص على تحصيل أسباب القوة، ووسائل الغلبة والتمكين، ذلك أن الحق لن ترفع له راية، إلا فى وجود قوة تحميه، وترهب الباطل، وترده على أعقابه خاسئاً وهو حسير.

ولن يتحقق النصر للمسلمين بركوهم إلى الوعود الإلهية، فى الوقت الذى يتقاعسون فيه عن القيام بدورهم فى تحقيق هذه الوعود، فقد اقتضت حكمة المولى جل فى علاه، أن يظهر قانونه الأزلى بنصر المؤمنين وتمكينهم فى الأرض من خلال جهادهم وتضحياتهم فى سبيل الله، قال تعالى: ﴿**ذلك ولويشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قُتلوا فى سبيل الله فلن يُضلَّ أعمالهم ۝ سيهديهم ويصلح بالهم ۝ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ۝ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصُرْكم ويثبت أقدامكم ۝ والذين كفروا فتعساً لهم وأضل**

أعمالهم﴾ (محمد: ٤-٨).

وعلى هذا، فالمسلمون مطالبون بالإعداد والاستعداد، وبذل الجهد الجهيد من جانب جميع أفراد المجتمع، إذ أن التكليف القرآنى قد خاطب الجميع دون استثناء، فقال تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾** (الأنفال: ٦٠).

* يقول الإمام المجدد (السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه) فى كتابه (الجهاد):

(ما من مسلم إلا وهو مطالب بالجهاد بقدره، إما بإعداد المعدات أو بها وبنفسه، فعلى العالم المتفنن أن يجتهد فى اختراع ما به قوة سلطان المسلمين، وعلى التاجر أن يجتهد فى جلب ما به من قوة المسلمين، وعلى المزارع أن يعد ما به مساعدة المجاهدين، فكل مسلم فى كل نفس يجب أن يكون مجاهداً فى سبيل الله. وليس الجهاد قاصراً على مجاهدة العدو، فإن من جهز غازياً كأنه جاهد فى سبيل الله، وعلى معلم الصبيان أن يبث فيهم روح الغيرة على الدين والمدافعة عنه وعن أهله. والجهاد هو العبادة التى تنبىء بكمال الإخلاص لله تعالى والتصديق بما بشر الله به، وقد كان النساء يجاهدن فى سبيل الله بما استطعن، إما بالغزل أو بالنسيج، أو بتجهيز الأغذية، أو بضماد الجروح، أو بنقل الماء، حتى كانت المرأة تقص شعرها ليكون قيداً لدابة يجاهد عليها مسلم فى سبيل الله لتكون جاهدت، حتى كان كل مسلم وكل مسلمة فى كل نفس يرى نفسه مجاهداً بأى معنى من معانى الجهاد، حتى الأعمى، فإنه كان يتوجه إلى بيوت إخوانه المجاهدين ليقضى لهم حاجتهم ليكتب عند الله مجاهداً.

والجهاد ينتج نتيجتين حقيقيتين، الأولى: علو الكلمة وعز أهلها، والغنيمة.

والثانية: الحياة الطيبة فى فردوس الله الأعلى والفوز برضوانه الأكبر. ولم تر عين ولم تسمع أذنى بتجارة تربح هذا الربح أبداً إلا الجهاد فى سبيل الله، وإنى على يقين أن أصغر مسلم يعلم أن كلمة الله لا تعلو إلا به، وأن العز الحقيقى لا يكون إلا بالجهاد، ولا شرف ولا مجد أعلى من هذا. أسأل الله تعالى أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الربانى، الذى به ننجذب بكليتنا إلى الرضوان الأكبر. (الجهاد، للإمام المجدد أبى العزائم، ص٢٨،٢٩).

وبعد أن يمتلك المسلمون القوة، فإنهم يتميزون عن غيرهم بتوظيف هذه القوة التوظيف الصحيح، واستخدامها الاستخدام الأمثل، فى الدفاع عن حرمات المسلمين وأوطانهم، وعن الدعوة الإسلامية ودعاتها، وفى نصرة المظلوم وإعانة الضعيف.. بخلاف الحضارة المادية الغربية التى سخرت قوتها للتوسع والسيطرة، والاستيلاء على ثروات الشعوب، وقهرها وإذلالها.

٦- فى المجال الإعلامى:

إن عصرنا هو عصر الإعلام، الكلمة فيه تتحكم فى تكوين الرأى العام وتعديل الرؤى وتعميم الأفكار والقيم والأيديولوجيات، فبقدر تطور وتقدم وسائله المختلفة يكون انتشار هذه الأيديولوجيات وقوة التأثير والتأثر بها.

كلنا يشاهد الطفرة الكبيرة التى يعيشها الإعلام المعاصر فى ضوء التطور التقنى والتقدم العلمى، وكلنا يلمس دور الإعلام فى حملات التضليل والغواية التى يمارسها الإعلام الصليبى الغربى الأمريكى على العالم الثالث عامة وعالمنا الإسلامى خاصة، لغرس قيمه ومثله، وتسفيه قيم ومثل وعقيدة الآخرين، فى محاولة محدودة الأهداف والمسار، ومحكمة الحلقات لاستلاب هوية الأمم، وفرض الهيمنة والتبعية عليها، وسلبها ثرواتها وأرضها، وكلنا يشعر بخطورة التدفق الإعلامى على العالم الثالث

الذى يحتل منه عالمنا العربى والإسلامى موطن القلب من جانب واحد، نتيجة ما يملكه العالم الغربى المتقدم من وسائل إعلام متطورة ومتعددة، مسخراً لها هائل الإمكانات المادية والمعنوية فى إطار خطط وبرامج محكمة ومدروسة ومحددة الهدف، ونتيجة حالة التخبط والتخلف والتفكك والابتعاد عن الهدف الأسمى بالانشغال بالأمور الجانبية، والانبهار بالإعلام المعادى التى يعيشها إعلامنا الإسلامى، الأمر الذى جعل منه عامل تفريق أكثر منه عامل توحيد،ووسيلة تفسخ وانحلال وتغريب أكثر منها وسيلة لبناء الذات وتكوين الهوية والتصدى لمخططات التغريب والمسخ.

ويعد المجال الإعلامى من أشد المجالات خطورة على المجتمع، إذا يتعلق بصياغة الأفكار وتوجيه الرأى العام.. ومن هنا فالمجال الإعلامى فى المجتمع المسلم المنشود يمتاز بالصدق التام والأمانة الكاملة:

أ- فلا تسخر وسائل الإعلام لامتداح الحكومات الفاسدة والمبالغة فى الثناء عليها، فالمسلم يجب أن يحاذر حينما يثنى على غيره، فلا يذكر إلا ما يعلم من خير، ولا يجنح إلى المبالغة فى تضخيم المحامد وطى المثالب.

وهناك فريق من الناس يتخذ المدائح الفارغة بضاعة يتملق بها الأكابر، فيصوغ من الشعر القصائد المطولة، ومن النثر الخطب المرسلة، ويكيل الثناء جزافاً، وقد يصف الحكام الجائرين بالعدالة، والأغبياء الجبناء بالشجاعة، ابتغاء عرض من الدنيا عند هؤلاء وأولئك.. هذا الصنف من الكذبة أوصى النبى ﴿ﷺ وآله﴾ بمطاردهم حتى يرجعوا عن تزويرهم بوجوه عفرها الخزى والحرمان، فعن المقداد ﵁ قال: (أمرنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أن نحثوا فى وجوه المداحين التراب) (مسلم). والمقصود بالمداحين هنا: الذين اتخذوا المدح عادة، يستأكلون بها الممدوح، فأما مدح على الأمر الحسن والعمل المحمود- ترغيباً فى أمثاله، وتحريضاً

للناس على الاقتداء به- فليس بمداح.

ب- كما لا تستخدم وسائل الإعلام فى نشر أخبار كاذبة، وحكايات ملفقة، وإحصائيات مزورة، فلا اجتهاد بغير معرفة، ولا فتوى بغير علم، ولا نميمة، ولا غيبة، ولا عدوان على الآخرين، ولا حجر على حرياتهم، كما تؤكد على الابتعاد عن قذف المحصنات، واتهام الناس بالباطل،وعدم النشر بغير تمحيص وتدقيق، وتحصين الجماهير المسلمة بحقائق الدين الإسلامى، والبعد عن التطرف والأفكار الخاطئة، مع المحافظة على لغة القرآن.

ج- كما لا تستخدم وسائل الإعلام فى إثارة الغرائز، وإيقاذ نيران الشهوة الجنسية العارمة، من خلال الأدب المكشوف، والمقالات الخليعة والصور العارية، أو من خلال ما يعرض فى الوسائل المسموعة والمرئية من أفلام ومسلسلات ومسرحيات تطفو بالدعوة إلى الفوضى والإباحية.. قال تعالى: ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ۞ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ۞ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم**﴾ (النور: ١٩-٢٠).

د- بالإضافة إلى ما تقدم، لا تستخدم وسائل الإعلام فى ترسيخ التبعية الحضارية بتقديم كل ما هو غربى على أنه الأفضل والأكمل، وكل ما هو إسلامى على أنه القديم المتخلف البالى، ولا تستقى مادتها الإعلامية من الوسائل الغربية التى تمتلكها الصهيونية.

٧- فى المجال الرياضى:

يخطىء كثير من الناس فهم النظرة الإسلامية للرياضة، فيحسبون أن الإسلام لا يهتم بالرياضة ولا يشجع عليها، بل يصل التطرف بالبعض من الناس إلى تصور معارضة الإسلام ومحاربته للرياضة، بدعوى أنها تلهى عن ذكر الله وأداء العبادات.

والحق أن هذا الفهم يخالف روح الإسلام وجوهره الشمولى، فالمسلم فى كل لحظات حياته فى عبادة لله رب العالمين، بشرط أن يخلص النية فى كل عمل يقوم به.. وهو حينما يمارس الرياضة بنية بناء جسمه وتقويته، ليكون جاهزاً لتنفيذ متطلبات دينه، من أداء الشعائر التعبدية على وجهها الصحيح، أو الجهاد فى سبيل رفع راية الإسلام، أو غير ذلك من المهام.. فهو فى عبادة لله، يثاب عليها ثواباً جزيلاً، بمقتضى النظرة الشمولية التى يشير إليها قول الحق: ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ۞ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾ (الأنعام: ١٦٣،١٦٢).

والمجتمع الإسلامى المنشود سيشجع أفراده على الانتقال من حالة الاكتفاء بمشاهدة الرياضة إلى حالة ممارستها، إذ أن الخطأ يكمن فى الاكتفاء بالمشاهدة والتشجيع المتعصب، دون الممارسة الفعلية، التى يدعو الإسلام إليها بهدف تحقيق معنى القوة التى تحدث عنها المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ فى حديثه الشريف: (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير...) (مسلم).
وإطلاق لفظ القوة يصح حمله على معنييها: المادى والمعنوى.

وفى حديث آخر يستعيذ النبى ﴿ﷺ وآله﴾ من العجز والكسل فيقول: (اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) (البخارى).

وقد مارس النبى ﴿ﷺ وآله﴾ الرياضة بنفسه، ضارباً المثل الأعلى والأسوة

الحسنة، فقد ثبت أنه ﴿ﷺ وآله﴾ سابق السيدة عائشة رضى الله عنها فسبقته، ثم سابقها مرة أخرى فسبقها، وقال لها: (هذه بتلك) (أبو داود وابن ماجة).

وقد كان يهتم بالرياضات المتعلقة بالجهاد بصفة خاصة، وفى ذلك يقول: (عليكم بالرمى فإنه من خير لهوكم) (السيوطى فى الصغير، والطبرانى فى الأوسط).

ومن عجيب ما يروى عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى هذا، أنه كان يجعل لهو الأطفال ولعبهم رياضة مفيدة تنفعهم فى مستقبل أيامهم، يقول عبد الله بن الحارث ﷺ : كان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يصُفّ عبد الله وعبيد الله وكثير بن العباس- ﷺ - ثم يقول: (من سبق إلىّ فله كذا وكذا) قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم. (أحمد والهيثمى).لكل هذا، لا عجب أن يهتم المجتمع الإسلامى بالرياضة النافعة، ولكن مع مراعاة الضوابط التى وضعها الإسلام لكل نشاط إنسانى.

* والحقيقة أن اليهود استفادوا جداً من مقولات الإسلام فى هذا المنحى وراحوا يسيسون أساليب التعامل مع كل فنونها باتجاهات تخدم مصالحهم ومخططاتهم، وعندما يبلغ الاهتمام بالرياضة حداً مبالغاً فيه لابد أن يتساءل الإنسان عن ذلك..

ومن الملاحظات التى تثير التساؤل:

١- كثرة المسابقات الرياضية وتنوع مواسمها وشد الناس إليها.

٢- بعض الرياضات التى تفسح المجال لعُرى الفتيات كألعاب الجمباز، وكرة السلة، وكرة الطائرة، والسباحة.

٣- خلق إعلام مركز بكافة الوسائل الإعلامية على الرياضة.

ولنتساءل لماذا تشكل الرياضة بهذا الشكل خطراً على جيل الشباب المسلم؟

جاء فى البروتوكول الثالث عشر من بروتوكولات خبثاء صهيون: "إن الحاجة يومياً إلى الخبز ستكره الأمميين- غير اليهود- إكراهاً أن يقيضوا ألسنتهم

ويظلوا خدمنا الأذلاء، ولكى نبعدها عن أن تكشف بأنفسها أى خط عمل جديد، سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهى والألعاب ومزجيات للفراغ والمجامع العامة وهلم جرا، وسرعان ما سنبدأ الإعلان فى الصحف داعين الناس إلى الدخول فى مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليهما، هذه المتع الجديدة ستلهى ذهن الشعب حتماً عن المسائل التى سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة".

٨- فى المجال الفنى:

كما كان الحال فى المجال الرياضى، يخطىء الكثير من الناس فهم النظرة الإسلامية للفن، والنظرة إلى الواقع السيء هى التى تحكم رؤيتهم للفن ورسالته فى الحياة، وهذا- بلا ريب- خطأ جسيم، إذ لا يصح أن يتوارى الحكم الشرعى فى ظلمات الواقع الكئيب، بل الواجب تغيير هذا الواقع إلى حال تتناسب وأصل النظرة الإسلامية الصحيحة.

والحق أن الإسلام لا يعارض الفن، إن كان راقياً منضبطاً، يدعو إلى الفضيلة، ويحض على القيم النبيلة، ويروح عن النفس ترويحاً بريئاً، يقول ﴿ﷺ وآله﴾: (إن من أفضل الأعمال عند الله تعالى إدخال السرور على قلب امرىء مسلم).

وقال الإمام علىّ كرَّم الله وجهه: (إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة).. وقال أيضاً (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذ أكره عمى) (كشف الخفا للعجلونى، وإتحاف السادة المتقين، وتذكرة الموضوعات للفتنى).

على أن الفن فى حقيقته ليس مجرد ترويح وترفيه بل هو من أخطـــر وســـائل صياغة الأفكار والتوجهات فى المجتمع، إذ يمكن للوحة فنية واحدة أن تعـــبر عـــن قضية ما وتسلط الأضواء عليها، ويمكن لنشيد واحد أن يلهب حماســـة الجمـــاهير ويدفعها إلى نصرة الحق دفعاً... وهكذا فى كافة المجالات الفنية الأخرى.

من هنا نرى أن الإسلام ليس ضد الرياضة والفن بل يحث عليهما ولكن ضمن خطة الوعى الإسلامى التى تنظم أمور الحياة العقلية الروحية، ومن ثم الجسدية لدى المسلم والمسلمة.. إن الإسلام ضد العُرى والإباحية، وضد إشغال المسلم بأشـــياء ليست بأهمية الجهاد ضد المستعمرين من صهاينة وصليبيين، وليست كأهمية تغذيـــة الروح بالقيم الإنسانية الراقية التى من شأنها تنظيم تقدم الأمـــة الإســـلامية نحـــو الأفضل، ونحو الوحدة الفكرية والجغرافية والاقتصادية الشاملة والقوية والتى وحدها القادرة على التصدى لكل بدع اليهود والغرب، ولكل مشاريعهم الخبيثة، ولكـــل مخططاتهم التدميرية للمسلم وللأمة الإسلامية.

من هنا، سيحرص المجـــتمع الإسلامى المنشـــود على الاهتمام بهـــذا المجـــال، وتقديم فن إسلامى راقٍ ملتزم، بعيداً عن الابتذال والإباحية.

هذه مواصفات المجتمع الإسلامى المنشود، ستصبح حقيقة واقعة حينما يتوفر لها الأساس المتين من الفرد المسلم صاحب العقيدة الصافية، ومن الأســـرة المســـلمة الصالحة القوية المتماسكة... وبهذا تنهض أمة الإسلام من جديد، وتستعيد مجدها التليد، وتسترد مكانتها الأصيلة، فى طليعة المسيرة الحضارية الإنسانية.

الفصل الثالث
كيفية سيادة الأمة الإسلامية

* بعد الوقوف على أسباب ضعف الأمة الإسلامية فى الفصل الأول، وبعد التعرف على سبل النهوض بها فى الفصل الثانى، يأتى هذا الفصل ليتحدث عن كيفية الوصول بالأمة الإسلامية إلى سيادة العالم مرة أخرى، وقيادة المسيرة الحضارية الإنسانية.

ونرى أنه لن تقوم للمسلمين قائمة فى النظام العالمى، ولن تكون لهم كلمة مسموعة فيه إلا بتحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة، وإعادة تكوين الأمة القوية المستظلة براية الخلافة الإسلامية الجامعة.

والمتعين الآن بعد إلغاء الخلافة، كما يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى) هو:

(أن ينتخب أهل الشورى والرأى والعصبة الإسلامية خليفة من أتقى المسلمين وأورعهم إن تيسر، ودليل ذلك من آثار السلف الصالح أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه طلب من أستاذه محمد بن سهل أن يبين له صفات عمر بن الخطاب ليعمل بها، وأن يدله على أهل التقوى فيولهم أعمال المسلمين، فكتب إليه: يا عمر، إذا أنا بينت لك ما كان عليه أمير المؤمنين وقمت به، فأين الرجال الذين كانوا مع عمر؟ سر فى الناس بقدرهم فى زمانهم، ولكنى أدلك على خير: و لِ أمور المسلمين ذوى البيوت والشرف والمجد، فإنهم إن لم يمنعهم عن الدناءة دينهم، منعهم شرف أنفسهم.

والخليفة إنما هو حصن المسلمين ووالدهم، والشريعة لم توجب تعيينه من بيت مخصوص، ولو كان كذلك لتولى الأمر بعد رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب،

أو على بن أبى طالب، وهما من يعلم المسلمون قرابتهما من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وتولاه رجل من بنى تميم أمره رسول الله أن يصلى بالناس فى حياته، فلما تبين للمسلمين أن رسول الله اختاره لدينهم اختاروه لدنياهم، وهو أبو بكر الصديق ﵁، فالخليفة مختار الأمة، وأمينها ووليها بعد رسول الله، فالحق فى تعيينه للأمة). (وسائل نيل المجد الإسلامى، ص ١١٥،١١٦).

والملاحظ أن كلمة الوحدة مضافة إلى الأمة، أى: وحدة الأمة، لم ترد فى القرآن الكريم، ولكن ورد وصف الأمة بأنها واحدة. فالتركيز فى القرآن قد جاء- إذن- على مفهوم الأمة التى توصف بأنها أمة واحدة، وليس على مفهوم الوحدة التى تضاف إلى الأمة. وهذا يعنى أن الأمة الواحدة هى الأصل، أما مسألة توحيد الأمة ووحدتها فقد كانت متأخرة فى الزمان بعد أن طرأ الاختلاف على الأمة مما استدعى القيام بجهود كبيرة لإعادتها إلى أصل نشأتها.

فنحن نقرأ فى القرآن الكريم وصف الأمة الإسلامية بأنها واحدة فى موضعين:

١- يقول تعالى: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ (الأنبياء: ٩٢).

٢- ويقول تعالى: ﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ (المؤمنون: ٥٢).

ووحدة الأمة الإسلامية لاينبغى أن يفهم منها نفى الخصائص المميزة لكل شعب من الشعوب الإسلامية داخل هذه الوحدة، فالوحدة هى الإطار العام تنفى التناقض ولكنها لا تنفى الاختلاف فيما هو خارج نطاق الأصول العامة، فقد خلق الله الناس شعوباً وقبائل لتتعارف وتتآلف لا لتذوب خصائصها كلية، وإلا لم يكن هناك داع فى الأساس لجعلهم شعوباً وقبائل.

والإسلام عندما يتحدث عن وحدة الأمة الإسلامية ويحث عليها، ويدفع

المؤمنين دفعاً إليها، فإنه لايركز بأية حال من الأحوال على مجرد الكثرة العددية، فالوحدة الكمية لا يمكن أن تكون هى الأساس المتين لبناء الأمة وقوتها.

وقد عبر عنه النبى ﴿ﷺ وآله﴾ بغثاء السيل فقال: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت) (أبو داود وأحمد).

وعندما نظر المسلمون فى غزوة حنين إلى كثرة عددهم وأصابهم شئ من الغرور، وقالوا: لن نغلب اليوم من قلة، دارت عليهم الدائرة، وفى ذلك يقول تعالى:﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتُكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين**﴾ (التوبة: ٢٥).

ومن أجل ذلك يركز الإسلام على الوحدة النوعية، ويمكن لمجموعة قوية من العالم الإسلامى اليوم أن تتحد بغض النظر عن الباقين- وسوف يجمعهم الله بفضله- فالنوعية المؤمنة القليلة العدد تستطيع- بوحدها وتماسكها وقوة إيمانها وثقتها بنصر الله- أن تتغلب على الكثرة الكاثرة الخاوية من الإيمان. وفى ذلك يقول تعالى: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**﴾ (البقرة:٢٤٩).

والحق أن هذه الأمة الإسلامية الواحدة، وإن لم تكن موجودة بالفعل على أرض الواقع اليوم، فإنها موجودة بالقوة فى ضمائر الأغلبية العظمى من أبناء الإسلام.. فالذى يقرأ واقع المسلمين بعمق، يدرك- إن كان منصفاً- أن الشعور بوجود الأمة ووحدها، والإحساس بآلامها وأفراحها، شعور سائد ومتغلغل فى كيان أبنائها وأعماق وجداهم، وخصوصاً فى أوقات الشدائد والمحن.. لا نتحدث عن الحكام والمتسلطين وعبيد الفكر الغربى ممن انفصلوا عن ضمير أمتهم، وغرَّب

الاستعمار الثقافى مشاعرهم، كما غرَّب أفكارهم، إنما نتحدث عن جمهور الأمة العريض من المثقفين وغير المثقفين الذين يخفُّون لنجدة كل منكوب، ومساندة كل مستضعف، ومعاونة كل ذى فاقة من أبناء الإسلام حيثما كانوا.

فالأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، بمنطق الدين، والتاريخ، والجغرافيا، وباعتراف أعدائها، ولكن انتقالها من مجرد شعور وجدانى إلى واقع عملى تقف دونه عوائق وعقبات كؤود.

أسباب تفرقة الأمة الإسلامية

* يكشف لنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين) ص ٤٩- ٥١، عن أسباب تفرقة الأمة الإسلامية فيقول:

(أصل مرض الأمة الإسلامية- التفرقة- ناشئ من ثلاثة أنواع: أمراء السوء. وعلماء الفتنة. ودعاة الجهالة.

١- أمراء السوء:

مالوا إلى الترف والطمع والغرور، وتقريب أهل المفاسد، وسرعة الغضب والانتقام، وإذلال المصلحين، ومعاداة العلماء العاملين والأشراف المتقين، والنفور من الموعظة، والتكبر على العاملين بالتقوى، والاشتغال باللهو واللعب والغفلة عن أمور العامة، والظلم فى جمع الأموال، والإهمال فى إقامة الحدود، لأنهم لا يبالون بعمل المنكر.

وساعدهم على ذلك علماء السوء الذين اتخذوهم أعواناً لهم، وأيدى لتنجيز شهواتهم، وسيوفا لقطع الحق وإحقاق الباطل، فشغلهم الظلم عن الإعداد للأعداء كما قال سبحانه: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون**

به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال:٦٠). وصار الأمير لا عدو له إلا النصحاء الأمناء من المسلمين، فقاومهم وأضعف قوته، حتى استولى الأعداء على ثغور المسلمين لخلوها من الحصون المانعة، والجيوش الراغبة فى الدار الآخرة، لأن الناس على دين ملوكهم، وبشغله أهملت الصناعات والتجارات لاشتغال الأمة بالوشايات، وتفرقة كلمتهم بالتحزب.

٢- علماء الفتنة:

ثم قام علماء السوء فتقربوا إلى الأمراء، بجدل الكلام، وتأويل السنة والكتاب بما يهواه الأمير، وما ينالون به المنزلة العالية والسيادة والشرف، حتى يكون منهم المفتون بالضلالة، والدالون على غير الهدى مع إهمالهم للأعمال الشرعية، والازدراء بالفقراء والعمال وأهل الذكر من العارفين، وأهل علوم اليقين. وقد بلغ هؤلاء الضالين المضلين أن ابتدعوا فى الدين بدعاً فرقوا بها المسلمين، وأوقعوا المسلمين فى تكفير بعضهم ولعن بعضهم، حتى بلغ حالهم من العداوة والبغضاء أن تساهلوا فى أمور الجماعة وإحياء الكلمة وتجديد أمور السنة، حتى ذلوا وخذلوا وتمكن منهم العدو، وداخلهم الشيطان فصاروا تبعاً بعد أن كانوا أئمة وسادة لجميع العالم. كل ذلك للطمع فى الدنيا وإيثارها على الآخرة، وترك الحق وراء ظهورهم طمعاً فيما لا ينفع فى الدنيا ولا فى الآخرة من الشهرة والسمعة ونفوذ الكلمة، ودعاهم الطمع والغرور وطلب زهرة الدنيا إلى أن ألَّفوا كتباً فى بدعهم يردون فيها على أهل الإخلاص والصدق والتوكل والعلم واليقين والعمل بالحق، وسعوا فى الأرض ينفرون المسلمين من أئمتهم وقادهم، حتى إذا تسلط الكافر على المسلمين تركوا أمراء المسلمين، وقاموا لذمهم وموالاة المتسلطين عليهم لنوال الرتب والشرف والأموال والجاه والرفعة.

فوا عجباً لكلاب الدنيا الظاهرين فى حلل المؤمنين، المتجملين بجمال العلماء الراسخين، كيف لا ينهاهم نُهاهم ولا تمنعهم عقولهم ولا معقولاتهم ولا أحكام دينهم عن الغرور بالدنيا وهدم أركان الدين؟ ولابد أن تظهر الحقيقة فى يوم ما والله غالب على أمره.

٣- دعاة الجهالة:

دعاة الجهالة إن لم يساووا علماء السوء فى جلب المضرة على المسلمين فهم أضر منهم، لأنهم يموهون على العامة أنهم الدعاة إلى الله تعالى، الوارثون لأحوال الأقطاب والأبدال، ويموهون عليهم أنهم يمكنهم النفع والضر، ويلفتون المسلمين عن العمل الواجب عليهم شرعا وعقلا من العلم والعمل للدنيا. ثم إنهم بجهلهم يوهمون أن التوكل ترك الأعمال، وأن الرضا عدم المعارضة وترك الناس يعملون ما شاءوا. ومنهم من يقترب إلى الأمراء أو المتسلطين فيكونون أعواناً لهم على حب العامة لهم والرضا بأحكامهم وأعمالهم، بل ويفهمونهم أن هذا هو الخير، وأن هذا فضل من الله ونعمة، وهو فى الحقيقة سخط من الله ونقمة.

ثم إنهم لطمعهم يوقعون العامة فى بغض العلماء والأتقياء والدعاة إلى الخير، فتحصل التفرقة ويقوم كل فريق لمناوأة الآخر فتتفرق الجماعة، ويسارع كل فريق إلى المتسلطين أو الأمراء فيستعينون بهم على أهل الحق، حتى يضعف القائمون بالحق ويختفون وينتشر الباطل. وأول فتنة حصلت فتنة مسيلمة الكذاب، ثم حوادث الخوارج، ثم بنى أمية، ثم بنى العباس، ولكن كان نور الكتاب والسنة مشرقاً على جميع المسلمين.

لأن الكتاب والسنة من عمل بهما مصدقا مقرا زكت نفسه، وأشرقت عليه أنوار اليقين فتحقق قدر الدنيا والآخرة، فيعمل فى الدنيا ليجمعها وينفع بها جماعة

المسلمين لنوال الآخرة، وبذل نفسه لنوال رضاء الله تعالى. وقد جمعت السنة حقيقة العقيدة، وأجمل المعاملات، وأكمل العبادات والقربات، والأخلاق، والسياسات النبوية، التي بها سعادة الدنيا والآخرة.

٤ – عبيد المادة:

وقد أضاف الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ سبباً رابعاً من أسباب تفرقة الأمة الإسلامية فى كتابه (الشفاء من مرض التفرقة) ص ١٦،وهو عبيد المادة، الذين عبدوا الحس ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فأولئك إما موتى، أو انحطوا إلى أسفل سافلين البعد عن الله تعالى، وليسوا فى نظر العلماء بالله بأناسى.

دواء ذلك المرض:

من نظر بعين العبرة فى مرض المسلمين الآن وما أصابهم وهو مرض التفرقة يجد ذلك ناشئا عن تلك الأسباب المتقدمة. ودواء ذلك المرض أن يتحد الأمراء والعلماء والدعاة بالقلب واللسان على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ وآله﴾ وإحياء سيرة السلف مع الزهد فى الدنيا، والتوبة ببذل أنفسهم وأموالهم فى إحياء سنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالحكمة والموعظة الحسنة. وإلا فالله سبحانه وتعالى له عباد أحبهم وأحبوه يجعل إحياء ذلك الأمر على يدهم، لأن الله غيور على دينه وسنته وكتابه وسنة نبيه ﴿ﷺ وآله﴾. وما الله بغافل عما يعمل الظالمون. أسأل الله أن يوفقنا لما يحب من القول والعمل والحال، وأن يجمع قلوبنا على الحق، وأن يهب لنا عناية يحي بها السنة إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

عقبات الوحدة الإسلامية

* ونلاحظ على كلام الإمام أبى العزائم ﷺ أن عقبات طريق الوحدة الإسلامية الشاملة هى:

١- فقدان الفهم الصحيح للأخوة الإسلامية:

التى تعنى المحبة، والتعاون، والتناصر، والإيثار.. وغيرها من المعانى الجليلة.

٢- الميراث الاستعمارى البغيض:

حيث نجح الاستعمار فى تحقيق هدفه الأول، بتفتيت الأمة الإسلامية الواحدة إلى أجزاء متناثرة ومتنافرة، ليسهل افتراسها والقضاء عليها.

٣- شهوة السلطة الزمنية:

حيث يبلغ عدد الدول الإسلامية الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى خمس وخمسين دولة، لكل منها رئيس أو ملك أو أوسلطان أو أمير،ولا يرغب أحد فى التضحية بسلطانه وصولجانه من أجل الوحدة الإسلامية المنشودة.

٤- رواسب الكراهية فى نفوس بعض الشعوب لبعضها الآخر:

فقد تسببت الخلافات الشخصية بين الزعماء فى إحداث فجوة هائلة فى نفوس بعض الشعوب المسلمة تجاه بعضها الآخر، وهى فجوة لا يمكن علاجها بين يوم وليلة، بل تحتاج إلى سنوات طوال حتى تزول آثارها وتخمد جذوتها، وذلك بخلاف الأحقاد الناشئة عن غياب التكافل الاجتماعى بين الشعوب المسلمة المترفة، وبين الشعوب المسلمة المعدمة المحرومة.

٥- الانقسام المذهبى:

حيث لا تزال الهوة عميقة بين الشيعة والسنة على سبيل المثال، وتحتاج إلى وقت طويل لردمها، وإلى جهد جهيد للقضاء على آثارها، ولن يتم هذا إلا بعد القضاء على الوهابية صنيعة وزارة المستعمرات البريطانية التى تقوم بتفريق المسلمين فى كل مكان، ببث سمومها وأفكارها التى تجعل من الخلاف على الفروع أصلاً من أصول الإسلام.

ولكن إذا تم صهر هذه الخلافات فى بوتقة الأخوة الإسلامية التى تجمع كلا من الطرفين، لكانت العودة سهلة، لأن جميع طوائف المسلمين بينها توافق فى الأصول، والخلاف إنما هو فى الفروع وهو أمر طبيعى.

٦- فقدان الرؤية الوحدوية المتكاملة:

إذ أن كل دولة تعمل فى إطار مصالحها الإقليمية ولا تتعداها، وتتخذ قراراتها وتوجهاتها فى هذا الإطار الضيق دون ما اهتمام بأثر هذه التوجهات على المستوى الجماعى الإسلامى، وهذا يؤدى إلى مزيد من الضعف والتشتت فى الأمة الإسلامية.

٧- غياب الشخصية القيادية التى يلتف حولها الجميع:

يستفاد من التجارب التاريخية المتعددة، أنه فى حالة الضعف والتشتت يحتاج المسلمون إلى قيادة ذات موصفات خاصة من : الإيمان، والحزم، والشجاعة، لتستطيع أخذ زمام المبادرة نحو توحيد المسلمين تحت راية واحدة، وليس أدل على ذلك من شخصية صلاح الدين الأيوبى.

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه عن خصال هذه الشخصية القيادية فى كتابة (وسائل نيل المجد الإسلامى):

خصال الزعماء المصلحين الذين يعيدون للأمة مجدها:

(الخير مطلوب كل حى، وأكمل الحياة وأشرفها وأعلاها الحياة الإنسانية، ومن أجل ذلك فزعامة المجتمعات الإنسانية يجب ألا تنحصر إلا فيمن جمعت فيه أربع خصال:

أولها: أن يكون الرجل نشأ من أسرة عريقة فى المجد والشرف، فتغذى من طفوليته بلبان الفضائل والآداب وكرامة النفس، ونمت قواه النفسية بغذاء الهمة والعزيمة بتلقى العلوم النافعة، وشهود ما يقوم به أولياء تربيته من الفضائل، وما يدعونه إليه من المسارعة إلى الأخذ بالأجمل من كل شئ، وإلى التحفظ من الوقوع فيما تدعو إليه النفوس المهملة، مما تقتضيه أحط الهمم وأدنى النفوس، مما يقع للناس فى شبابهم، أى فى سن التقليد، فإن الولد فى شبابه الأول يرتسم على جوهر نفسه بسبب ما يتلقاه ممن تولوا تربيته، وكم من رجل تصدر فى العالم وقاد الأمم، ولكنه يوقع من وثقوا به وجعلوه زعيماً فى هاوية الرذائل والأغلاط الاجتماعية، وتكون زعامته عليهم شراً مستطيراً، وذلك لأنه نشأ على حب الانتقام والحرص والإيثار لنفسه، فتدعوه تلك الخصال الذميمة إلى أن يترك الحق جانباً وينفذ ما حسنه له هواه وطمعه وحرصه على نيل المشتهيات، وهذا لا يكون زعيماً.

ثانيها: وهى الخصلة التى يكون بها الزعيم نافعاً.. أن يكون واسع الصدر، عالماً بأن اتحاد الأمة وإصلاح ذات بينها هو القوة التى تغنيه عن ملء الأرض جيوشاً جرارة كاملة العدة والعدد، يغض بصره عما يراه من موجبات التفرقة فضلاً عما يسمعه من ذلك.

ثالثها: أن يصطفى أهل التقوى والصلاح الذين يألفون ويؤلفون، الذين يجمعون له الأمة ويداووها من أمراض التفرقة والحسد، فإنه إن اصطفى أهل النفوس الخبيثة الذين يجعلونه قنطرة الفوز بمشتهياتهم، كالانتقام من أعدائهم، ونيل الرياسة،

وتحصيل حطام الدنيا، أرداه فى هاوية سحيقة.

رابعها: وهى ملاك الأمر.. أن يكون تقياً عاملاً بأصول الدين وفروعه، مراقباً أن فوقه قوة الله تعالى التى تحسن إليه إن أحسن، وتنتقم منه إن أساء، يكون الله معه، ومن لم تجمع له تلك الصفات فذله أقرب إليه من ظله.

الزعيم هو من يحسن إلى من أساء، ويصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه، وبذلك يكون كالشمس نفعاً، لأن خيرها عام لكل موجود، وكالليل ستراً فإن المعاصى تكثر فيه، ولا يعلم بها أحداً، وكالأرض تواضعاً، وإذا وجد هذا فهو السيد الذى يلجأ العالم إليه بعد الله تعالى، وأين هذا والمجتمع الإسلامى أحوج ما يكون إلى مثله فى هذا الوقت العصيب، لعمرى إنه ليفدى بالأرواح، فليتدبر من دعته نفسه لأن يكون زعيماً عظيماً.

قال العربى:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

لقد كان من ولاة السلف الإمام أبو عبيدة عامر بن الجراح ﵁ وهو أمير المجاهدين، وأبو هريرة ﵁، وسيدنا معاذ بن جبل وهو والى اليمن، وأبو موسى الأشعرى ﵁، وغيرهم من الولاة، فكانوا كالنجوم المشرقة فىالأفاق، تضئ نهاراً على الناس، وتضئ ليلاً فى ملكوت السموات بما يقومون به من ترتيل كلام الله تعالى، كان الرجل منهم يخدم نفسه فى منزله، ويعلف دابته، ويكرم ضيفه ولا خادم له، مع ما ملكهم الله فيه من الملك ونفوذ الكلمة، ساروا فى الناس بسيرة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ حتى كأن المسلمين لم يفقدوه ﴿ﷺ وآله﴾، فأشرقت به أنوار الحق فى جميع الخلق، وإنا لفى شوق شديد إلى أن يوجد الله تعالى للمجتمع الإسلامى ولاة يتشبهون بالسلف الصالح، حتى يعيد الله لنا هذا المجد، ويكون معنا كما كان معهم.

على أنى لا أيأس من روح الله، فإن الله لا يخلى الأرض من قائم لـــه بالحجـــة، والليالى حبالى يلدن كل عجيبة، وطالب الحق لا يعدم نصيراً، والواجـــب كلـــه منصب على الأمة، فإن لهم الغُنم، وعليها الغرم، وما توفيقى إلا بالله). (وسائل نيل المجد الإسلامى) (ص ١٠٥- ١٠٨)

كيفية تذليل عقبات الوحدة الإسلامية:

يتمثل ذلك أولاً وأخيراً فى تعميق معانى الأخوة الإيمانية الحقة فى قلوب وضمائر المسلمين كافة، ويمكن تحقيق ذلك من خلال ما يلى:

١- جعل الحديث عن الوحدة الإسلامية والأخوة واجب حتمى على كـــل أب تجاه أسرته، وإن أمكن ضمن المقررات الدراسية فى مختلف المراحل التعليمية علـــى معانى الأخوة والمحبة والاتحاد، وحينئذ يسهل تحقيق الوحدة على مستوى القمـــة، بعد أن تحققت على مستوى القاعدة.

٢- توعية المسلمين بأن الوحدة الشاملة هى فريضة دينية، يجب عليهم العمـــل المتواصل لتحقيقها، ثم أنها فى الوقت نفسه ضرورة يحتمها الواقع، فى ظل الواقـــع العالمى الجديد الذى يعد التكتل والاندماج من أهم ملامحه.

٣- التركيز على ما تنطوى عليه العبادات والشعائر الإسلامية من معانى الوحدة والإخاء والمساواة، وإبراز هذه الخصائص لتكون ماثلة فى ذهن المسلم وهو يـــؤدى هذه الشعائر، ومن ثم تدفعه إلى التنفيذ والتطبيق.

٤- تنبيه المسلمين إلى ضرورة مواجهة مخططات الأعداء الرامية إلى مزيد مـــن التفتيت فى بدن الأمة المسلمة، وعدم الاستجابة لهذه المخططات الشيطانية.

٥- نبذ العصبيات الإقليمية، وابتعاد وسائل الإعلام عن تغذية مشاعر القوميـــة الضيقة، وتركيزها على مشاعر الوحدة الإسلامية الشاملة.

٦- تذويب الخلافات بين الشيعة والسنة، والسلفية والصوفية، وغيرها، وذلك عن طريق صهرها فى بوتقة الأخوة الإسلامية التى تجمع بين هذه الأطراف.. ومما ييسر الأمر، أن الخلاف بين طوائف المسلمين كان خلافاً فى الأمور الفرعية الجزئية، وليس فى أصول العقيدة الأساسية العلية، فالكل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والكل يصلى ويصوم ويزكى ويحج ويجاهد فى سبيل الله...إلخ.

وهذا من عظيم فضل الله على المسلمين، إذ أن غيرهم قد اختلفوا فى الأصول العقائدية ذاتها فتناحروا وتقاتلوا، ولم تجتمع لهم كلمة إلا فى مواجهة المسلمين.

أما المسلمون فقد وقاهم الله شر ذلك الاختلاف المهلك، فليجتمعوا على ما اتفقوا عليه من أساسيات العقيدة، وليعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه من أمور جزئية لا تضر بجوهر الدين.

٧- أن يجعلوا دينهم ونسبهم ووطنهم هو الإسلام:

- لأن الإسلام هو الدين الحق لقوله تعالى:﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥).

- ولأن النسب حقيقة هو الإسلام لقوله تعالى:﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾ (الأحزاب: ٦).

ولقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (أدخل الإسلام بلالاً فى نسبى، وأخرج الكفر أبا لهب من نسبى) ولقوله ﴿ﷺ وآله﴾ : (سلمان منا أهل البيت) (الحاكم فى المستدرك، والطبرانى فى الكبير).

- ولأن الوطن الحقيقى هو الإسلام لقوله تعالى:﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ (الأنبياء: ٩٢).

٨- أن يجعلوا لغتهم هى لغة القرآن:

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه

وسائل نيل المجد الإسلامى:

(المجد الذى كان فيه المسلمون لم يكن إلا بقوة الاتحاد والائتلاف والتعصب لإعلاء كلمة الله، والعمل بكتابه وسنة نبيه، ولا اتحاد إلا بدين ولغة ونسب ووطن، و لم تجمع تلك المعانى كلها إلا فى الإسلام، فإن للدين لغة هى لغة القرآن، ولغة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ولغة أئمة الهدى من عرب وعجم، فإن أكثر أئمة الهدى كانوا من العجم ولغتهم هى لغة القرآن.

هذا سيدنا سلمان الفارسى، وهذا سيدنا بلال الحبشى، الذى جعله أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب سيدنا بقوله: (أبو بكر سيدُنا وأعتق سيدَنا- يعنى بلال)، وهذا صهيب الرومى، الذى ورد فيه: (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) كلمة أثنى بها الله تعالى على رسله الكرام وهى كلمة: ﴿نعم العبد ﴾ وقد أثنى بها رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ على صهيب، وهذا سيدنا أبو رافع مولى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وسيدنا حارثة، وسيدنا زيد بن حارثة، وسيدنا أسامة بن زيد، الذى أمَّرِه رسول الله على أئمة المهاجرين والأنصار وغيرهم، ومن لا يحصى عددهم من الأعاجم لم تكن لهم لغة إلا لغة القرآن.

ثم قام بتنفيذ تلك السنة أئمة المسلمين فى كل زمان، فكانوا إذا فتحوا مدينة من المدن حثوا من أسلم على تعليم اللغة العربية، حتى يفهم أسرار الدين وتنكشف له أنواره، وكأن اللغة العربية أصل من أصول الدين، لا يكون الدين كاملا إلا بها، وبدونها لا يكون المسلم مسلماً كاملاً، بل يكون مقلداً لا تشرق على قلبه أنوار الإسلام، ولا يظهر لنفسه جمال الإسلام الحقيقى.

وما عين رأت من خلف ستر ... كعين شاهدت حساً ومعنى

لما كان الدين الإسلامى هو كتاب الله وكتاب رسول الله، كان لابد للمسلم أن يحفظ من القرآن ما يجب عليه أن يحفظه، فرض عين أو سنة مؤكدة، ليس المراد

بحفظه أن يكون كالببغاء، يتكلم بما لا يفهم، فإن ذلك لا يكون به المسلم مسلماً قد أقام الصلاة ونطق بكلمة التوحيد، فعلى كل مسلم أن يجعل أول مهم يبذل قصارى همته فى نيله تعليم اللغة العربية، وفهم معانيها بقدر ما يخرجه عن أن يكون كالببغاء، بل يحفظ رتبته فى الوجود، فلا يعمل عملاً إلا ويعلم سره، ولا يعتقد اعتقادًا إلا بعد أن يطمئن قلبه به، إما بنور التسليم أو بواضح الحجة، ومن قال إنى مسلم ولم يتعلم اللغة العربية تعصبًا للغته، ورأى لغته أحب إليه من لغة القرآن، وأخذته الغيرة على لغة آبائه وأجداده التى لم يكن المراد منها إلا التفاهم فقط، كان هاوياً فى هاوية الذل فى الدنيا، وفى حطمة العذاب فى الآخرة، لأنه يصير ممن لغة آبائه أحب إليه من لغة كتاب الله وسنة رسول الله، ولو تدبر أخى المسلم- بصَّره الله بعيوبه ونقائصه- فى هذا الأمر لتحقق أن عمله غير سنة، ومحض جهالة لا ينتفع بها فى الدنيا، بل تضره فى الدنيا وتوبقه فى العذاب الأليم فى الآخرة، لأنه لجهله باللغة العربية يحرم فهم أسرار دينه، وعلم جمالاته الحقيقية، وما كان عليه الأئمة الهداة المرشدون من العوائد الحسنة، ولقائل أن يقول : إن أكثر من يتكلمون باللغة العربية يجهلون تلك المعانى، فأجيبه : إن جهالة المتكلمين باللغة العربية بتلك المعانى أنتجت لهم المذلة والخسران فى الدنيا، لأنهم أهملوا تعليم لغة القرآن والسنة، واقتصروا على اللغة العامة، واجتهدوا فى التفنن فى تعليم اللغات الأعجمية، ولو أنهم تعلموا اللغة العربية لفهموا أسرار القرآن، ولفقهوا أحكام الله سبحانه وتعالى.

شرف اللغة العربية بالقرآن :

أيها المسلم.. دينك الإسلام، ووطنك الإسلام، ونسبك الإسلام، ولغة القرآن هى لغتك، فلم تلقى بنفسك من الأفق العلى إلى المكان السحيق؟ تبعد نفسك عن الله تعالى وعن الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ وتقطعها من أخوة المؤمنين فتقول : إنى تونسى، إنى أفغانى، أو تركى، أو مصرى، أو بخارى. نعم.. أنا أقول تلك الكلمة

عند التعارف لأميز نفسى أمام غيرى، ولأرفع الستار عن منزلتى من إخوتى المؤمنين فربما كان المتكلم معى له قرابة لى لها واجب شرعى غير واجب الأخوة الإسلامية من صلة أو إحسان. لكن يلزم أن أكون موقناً أن الإسلام وطنى ونسبى، كما أنــه دينى. وأن لغتى هى لغة القرآن التى لا أتكلم إلا بها ولو مع غير المسلم كائناً مــن كان، من غير نظر إلى أنى تركى أكره أن أتكلم بلغة العرب، أو أنى صينى وهى لغة العرب، بل لأنها لغة القرآن لا لأنها لغة العرب. فإن تعصب العربى لها لأنها لغتــه ولغة آبائه فقط، بذلك يكون فاسقاً ضالاً. كما يحصل التعصب للغة العربية مــن نصارى مصر والشام زعماً أنها لغة آبائهم، أو أنها اللغة الفصحى التى من دونها كل اللغات . فمن تعصب للغة العرب بتلك المعانى فقط فليس بمسلم، وإن كانــت فى الحقيقة هى اللغة حقاً . ويجب على كل عاقل من أنواع بنى الإنسان أن يتكلم بها، لغزارة مادتها وخفة ألفاظها على النفس، ولتأثيرها الروحانى على أهــل العقــول وحسن أساليبها، ولكن مجدها الحقيقى وشرفها الحقيقى من جهة أنها لغة القــرآن فقط، فمن لم يتعلمها بعد علمه بأنها لغة القرآن وقال: أنا مسلم، فقد ظلم نفســه وأساء إليها.

إذا وفقنا الله وأعاننا بأن نجعل لغة القرآن هى اللغة التى يجب أن يكون التفاهم بها، أكرمنا الله بما يلى:

أولاً: بالائتلاف والاتحاد حتى نكون كالجسد الواحد.

ثانياً: يحفظ الله مجتمعنا من تداخل الأجنبى بيننا بالفساد بوجوه:

ا- أنه لا يتكلم معنا إلا باللغة العربية، فلا يمكنه أن يدس دسيسة باللغة العربية، لأنه يخشى أن ينفضح أمام المسلمين.

٢- أن غير المسلمين ممن يدعون أنهم عرب، لا يجدون لهم باب شر يــدخلون منه على جماعة المسلمين ليفرقوهم.

٣- أنى لو قلت : أنا تركى، والآخر قال: أنا عربى، ونحن نتكلم باللغة العربية، لا تحصل عداوة بيننا لأننا نمثل رجلين، كل رجل من قبيلة يفتخر بقبيلته، لا دخل للدين فى الموضوع، كما يفاخر بنو هاشم بنى أمية.

٤- يحصل خير عظيم بتعليم اللغة العربية، وجعلها لغة التفاهم، لأن الشـياطين الذين يدخلون بين المسلمين بالتفريق بدعوى أن الخلافة تركية أو عربية، لا يجدون سبيلا، وكم من عدو للمسلمين يسهر الليل ليكيد لهم بسـبب اللغـة التركيـة والعربية، ولو أن إخوتنا الترك محوا هذا الشر لجددوا مجد الإسلام، وردوا له ما كان فىعصر سلفنا الصالح.

* هذا ما يحصل من الخير فى الدنيا .. أما ما يحصل من النعيم المقيم يوم القيامة، فذلك بما ينكشف للعقل من أسرار القرآن، وما يتجلى للروح من أنـواره، ومـا يطمئن به القلب من أدلته وحججه، حتى ينعقد القلب علـى توحيـد الله تعـالى والصدق فى معاملته، والإخلاص لذاته الأحدية بما يفهمه من كتاب الله، وما يمـد به من روحانية رسول الله عند قراءة كلامه(ﷺ وآله)).أ.هـ .

٩- معرفة معنى المسلم وحقيقته:

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ فى كتابه (النور المـبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين) فى بيان معنى المسلم وحقيقته:

المسلم الحقيقى هو المسلِّم أمره الله تعالى تسليما حقيقيا عن تبصـرة وهـدى ومعرفة وبيان. نظر بنور قلبه إلى نفسه فعلم حقيقة عجزه إذا اشتغل بتدبير نفسه، وتحقق قصوره الذاتى- إذا اقتصر على رؤيته- عن إدراك الكمالات التى أعدها الله تعالى للمسلم الحقيقى، ونيل السعادة الأبدية التى وعد الله المسلم بها فى جـوار حضرته العلية ومنازل رضوانه، وتحقق اضـطراره إلى نيـل الكمـال الـدنيوى والأخروى اللذين بفقد أحدهما يحرمهما، لأن طلب الدنيا للمسلم بالمعنى الحقيقى

والعمل فيها طلب للآخرة ولله تعالى وعمل لجنابه العلى سبحانه.

وأن المسلم مطالب بحقوق بقدر أنفاسه، لا يمكنه أن يقوم بجميعها إذا أهمل فى نفس من أنفاسه، أو ظن لجهله أن السعادة قاصرة على عكوف الهم على عمل واحد دون غيره، فإنه بذلك يضيع الدنيا والآخرة. وكيف لا؟ وهو كما أنه مطالب بحق عليه لنفسه من تدبيرها وتزكيتها وتقويم معوجها وحفظ الصحة عليها، فهو كذلك مطالب بحقوق مثل هذه الحقوق وهى أوكد لكل مسلم من المجتمع الإسلامى العام أين كان المسلم وكيف كان، بحيث تتفاوت الواجبات إما بتدبير خاص ومعونة، أو بتدبير عام بنصيحة أو برأى أو بمنع عن ظلم، أو بتضامن على إحياء سنة أو محو بدعة وضلالة، أو مشاركة بالضمير والشعور الذى يطلق الألسنة بالدعاء والتضرع إلى الله أن يكشف السوء الذى لا قبل للكل بدفعه عن أنفسهم.

وبهذا يكون المجتمع العام الإسلامى كجسد واحد يمثل كل فرد من أفراده عضواً من الأعضاء، فيكون الإمام الأعظم لهم هو القلب، وكل فرد بقدر منزلته عضو من الأعضاء الباقية، وبذلك يكون كل مسلم منهم كاملاً فى إسلامه، عاملاً للدنيا والآخرة، عاملاً من عمال الله المخلصين، بل ويكون كل واحد منهم خليفة لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى القيام بمعنى من معانى الرسالة، ويكون المجموع بأكمله صورة كاملة لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾تمثل أخلاقه ﴿ﷺ وآله﴾، ومعانيه ﴿ﷺ وآله﴾، وأحواله ﴿ﷺ وآله﴾، ويكون كل فرد من أفراد المسلمين كأنه فى معية رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، لأنه متجمل بجمال أهل معيته، متصف بما وصفهم الله تعالى به ﵃.

وبهذا يكون المسلم الواحد أمة عظيمة قوية، لأنه جاهد نفسه مجاهدة فى ذات الله حتى تحققت أن الله تعالى أولى بها منها وأعلم بخيرها منها، وأقدر عليها منها، وإن العقل الإنسانى وإن كمل، والفكر الآدمى وإن رقى، لا يستقل بإدراك ما هو

خير فى الحقيقة ونفس الأمر، ولا يقتدر أن يقهر النفس على الأعمال التى بها نيل السعادة الحقيقية لما جبلت عليه النفس من حب التروع إلى الملائم والرغبة فى العاجل، فكانت أحكام الله تعالى ووصاياه، وتعاليم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وهدى أصحابه رضوان الله عنهم والتابعين لهم بإحسان هى المراقى التى يرقى بها المسلم إلى منازل السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة، ونيل الخير الحقيقى فى الدنيا والآخرة).

(النور المبين، ص٤٤-٤٦).

ما هو المجد الذى فقده المسلمون؟!

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ فى كتابه (وسائل إظهار الحق) :

(لعل أخا يسألنى قائلاً: ما هو المجد الذى فقده المسلمون حتى يمكن أن يسعوا بعد العلم به بالعمل لتجديده، فإنى أرى المسلمين كثيرين لم ينقص عددهم، ولا يزال القرآن يتلى بينهم، ومعاهد العلم آهلة بالمعلمين والطلبة، والمساجد عامرة بالذاكرين والمصلين، والناس يحجون بيت ربهم، ولا يزال العمل فى الأحكام على القواعد الشرعية.وفى نظرى أن الإسلام على ما هو عليه لم يتغير منه شئ و لم ينقص؟

فأجيبه: أنا لا أريد بالمجد الذى أنبه النفوس إلى تجديده قلة عددهم ليكثروا، ولا قلة المساجد المشيدة فى المدن لتزيدها، ولا قلة المعاهد العلمية التى كثر لها السابقون الإنفاذ لريعها، ولا ولا ولا .. ولكنى أقصد بالمجد الحقيقى الذى هو الروح الحقيقية الإسلامية التى تسرى فى القلوب فتجملها باليقين، وفى الأجسام فتنشطها للقيام بعظائم الأعمال، وتحتقر فى عين المسلم صغارها.

هذا المجد جعل المسلمين بعد القلة يكثرون، وبعد الذلة يعزون، وبعد الجهالة

يعلمون، وبعد الخوف يخيفون، وبعد أن كانوا مملوكين يملكون. هذا المجد الذى كان يجعل المسلم وهو فى مياه الهند، يلبى أخاه وهو فوق جبال البرينات فى الأندلس. هذا المجد الذى جعل المسلم وهو فوق منبر المدينة المنورة، ينادى أخاه وهو على سفح جبال سوريا فيسمع نداه. هذا المجد الذى كان كل مسلم فيه مع كثرة عددهم واتساع ملكهم واختلاف ألوانهم وترامى بلدانهم، كعضو للمجتمع بأجمعه يعمل لخير الكل غير ناظر لنفع نفسه، وإنما يحب نفسه ويحب لها البقاء ليعمل للخير العام. هذا المجد الذى جعل الأمم المختلفة الأخلاق والأنساب والعادات والبقاع، يمتزج بعضها ببعض؛ ويزدوج بعضها ببعض؛ وتتجنس بجنس واحد هو الإسلام، وتقوى تلك الرابطة حتى تحصل الألفة التى تجعلهم كجسد واحد موصل جيد للحضارة، بحيث لو أن جزءاً صغيراً منه مسته الحرارة ارتفعت درجة حرارة الجسم كله مع تنائى أطرافه وعظم جسمه.

وكذلك كان المجتمع الإسلامى متحداً اتحاداً بحيث لو أن أدنى مضرة ألّمت بأصغر فرد منهم شعر المجتمع بأجمعه بالألم، وقام كل فرد كأنه المجتمع يدفع الشر ويجلب الخير. هذا المجد جعل كل فرد من المسلمين كأنه الأمة بعينها يؤمن من شاء، ويضمن على الأمة ما شاء، ويعاهد فلا يخفر أحد ذمته، ولا ينقض بيعته، ولا يرد أمانة. هذا المجد الذى جعل الألسنة مع كثرتها كأنها لسان واحد، لأنها لا تنطق إلا بالحق ولو عليها. وجعل القلوب قلباً واحداً لأنها لا تطمئن إلا بالحق ولو عليها، وجعل الأيدى يداً واحدة لأنها لا تحرك إلا لعمل بسنة أو لدفع ضلالة وبدعة، وجعل الأرجل رجلا واحدة، لأنها لا تنتقل إلا لقربات أو مكرمات. هذا المجد الذى سوى بين بنى الإنسان حتى ارتفع التمييز بين القرشى والعجمى. هذه هى الضالة التى ينشدها كل عاقل من غير المسلمين، فكيف بالمسلمين أنفسهم؟؟.

ولو نظرت أيها السائل بعين الفكرة إلى المجتمع الإنسانى فى كل أقطار الأرض

فى هذا العصر، لوجدت أن كل جماعة من هذا المجتمع تعد بما فى وسعها من العقل والقوة معدات تسوق غيرها من الجماعات إلى هاوية الذل لتجعلهم كبهائم مسخرة، وتكون لها الكبرياء. وها هى المعدات الجهنمية يتنافس فيها الذين يدعون أنهم أهل مدنية، وأنهم خدموا العمران، وأنهم الرحماء ببنى الإسلام. فليأسف على مجد الإسلام النصرانى قبل اليهودى، واليهودى قبل المجوسى!! المجد الذى جعل غير المسلمين متمتعين بالحرية المطلقة والملاذ الشهوانية أكثر من المسلمين.

كان المسلم إذا شرب الخمر يضرب ثمانين سوطاً. كان مكلفاً بلقاء الأعداء ولو فرَّ قُتل، ومكلفاً بشهود الجمعة والجماعات وتعليم العلوم، ودفع أمواله عند الحاجة لبيت أموال المسلمين، وبالرباط على الثغور، ولمساعدة الفقراء وبأحكام أخرى لا يكلف بها غير المسلم. وأهل الذمة فى بحبوحة الأمن والأمان، والأمم المجاورة للمسلمين فى رغد العيش والإكرام.

ليبك المظلومون من جميع الأمم على هذا المجد، وليبذلوا كل نفيس وغال فى إعادة هذا المجد، ليعود السلام ويستريح العالم بأجمعه من هذا العذاب، وينجو من تلك الهاوية التى يسوق الإنسان أخاه إليها.

هذا رذاذ من وابل، ولا ينكر على قولى هذا أحد. وكيف ينكر وكل المدن التى فتحها المسلمون لا يزال بها اليهود والنصارى فى أرغد عيشة وأهنأ حالة، ولكنك لو نظرت إلى المدن التى بدلها الإفرنج التى كانت آهلة عامرة بالعلوم والعدل والأمان، لا يقل عدد المسلمين فيها عن خمسة ملايين نسمة، أصبحت الآن وليس فيها مسلم واحد ولا مسجد، ولكنك لو نظرت نظرة عامة إلى البلاد الإسلامية لوجدت الكنائس كما كانت، والبيع على ما هى، وأهل الأديان ممتعين بالحرية الكاملة إلا من اعتنق الإسلام عشقا فيه، واعتقاداً أنه الحق، لم يدعه إلى الإسلام إلا عقله الذى قنع بنور الإسلام، وقلبه الذى اطمأن بجمال الإسلام.

تجدد الإسلام سلامة لجميع بنى الإنسان:

لعلك أيها السائل علمت أن مجد الإسلام مجد لكل بنى الإنسان، وأن تجديد الإسلام تجديد عام لخير بنى الإنسان، وأن العمل بشرائع الإسلام سعادة لكل حى من حيوان وإنسان.

أين تلك الأخلاق الفاضلة التى جعلت أمير مصر القرشى فى مستوى واحد مع رجل من أهل الذمة فقير مسكين؟ ثم بعد أن استوى معه فى المجلس استوى معه فى الحقوق، فقام ولطمه على خد يأنف أن يمسه أعلى الكواكب. كيف لا ينشد تلك الضالة غير المسلم، ويتمنى أن يعيد الله أنوار تلك النفوس الطاهرة، وأسرار تلك القلوب العامرة باليقين، وأعمال تلك العقول الزكية الكبيرة التى صغرت أمامها العظائم؟. لا شك أن كل موجود فى تلك الدار الدنيا يتمنى أن يكون من أهل ذلك الزمان الماضى، أو أن الله يعيده حتى يكون آمنا على دمه وماله وعرضه وأهله من شرور أهل هذا العصر، الذين يدعون أنه عصر المدنية والحضارة، والحقيقة أنه عصر الظلم والجهالة.

تأمل فى الرحمة التى باطنها العذاب:

* تسمع الأصوات تنادى: وارحمتاه بالحيوان من ظلم بنى الإنسان فى البلاد الإسلامية، وتصرخ: واشفقتاه على الذين استرقهم المسلمون لتحريرهم، فتسمع الآذان صدى تلك الصيحات، فتقول: ما أرحم وأشفق بنى الأصفر. وما تلبث قليلاً إلا ريثما ترى رؤوس الكهول والأطفال قد اختطفتها لهب النيران، وبطون النساء قد بقرتها المقذوفات، وهجمت الوحوش المفترسة على البلدان فتركت أشلاء القتلى كالتلال. ويا ليتهم شعروا بتلك الآلام، ولكنهم يقيمون الزينة والأفراح بين أنين الجرحى، وتأوه المرضى، وأنفاس مفارقى الدنيا.

* عجباً لمن يرحم الحيوان الذى فى يد المسلم، ثم ينقلب فيحرق صاحبه بنار البارود وشواظ المقذوفات !! عجباً لمن يحرر الرقيق الذى تمتع بأكمل الحرية بالعيشة الهنية مع مولاه فشاركه فى نعمته، وربما زوجه بابنته، وكيف يسلطون تلك المقذوفات الجهنمية على أشراف الناس وأحرارهم!!

* عجباً لقوم يبعثون البعثات لتداوى المرضى مجاناً وتعطف على البؤساء، ويبعثون وراءهم نار الحريق الماحقة للدين والدنيا والنفس والعرض !! نعم هى رحمة، ولكن من ورائها العذاب الأليم! ولو أنها رحمة من ورائها خير لكان الأولى أن يقوموا بها للبؤساء فى بلادهم الذين يموتون جوعاً على أرصفة الشوارع، ويمر الغنى عليهم فينظر إليهم نظرة صغار، وإلى نفسه نظرة علو وعز وكبرياء، ويقول: لولا موت هذا جوعا ما شبعت.

سبحان الله لابد وأن تنكشف الحقيقة فى يوم ما، وكما يدينون يدانون، وسيجعل الله بعد عسر يسرا.

هذا أيها السائل الكريم هو المجد الذى أتمنى أن يعيده الله كما بدأه، ويتمناه معى كل محب لسعادة المجتمع الإنسانى. هذه قطرة صغيرة من فضل العمل بالإسلام فى الدنيا، فكيف بالفضل العظيم الذى يناله فى الآخرة العامل بشرائع الإسلام فى الدنيا؟ لاشك أن نيل الأجر به فى الآخرة أكمل وأتم، والفوز بالسعادة به أجمل وأشمل وأعم. فكيف لا أتمناه لكل إنسان وبه سعادة العالم بأجمعه فى الدنيا والآخرة. لا تظن أنى تعصبت فى دينى، ولكنى أحببت الخير لبنى نوعى. أقول الخير بعد تبصره وبيان، ونظر وبرهان. والحمد لله لم يبق على الشمس ما يحجبها إلا ظهرت أشعتها من هذا الحجاب، لمن له تبصرة أو ألقى السمع وهو شهيد).

(وسائل إظهار الحق، للإمام المجدد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه) ص (٣١- ٣٥).

واجب الوقت

لعودة المجد الإسلامى

* يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى) ص ٢٣٣-٢٣٤:

(والوقت الحاضر يقتضى أمرين عظيمين :

الواجب الأول:

الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله، لنجدد ما تركناه، ونعيد العمل بما أهملناه، وهو المقصد الأسمى الذى به الفوز بكل قصودنا، والشأن الأهم الذى بإهمالنا فيه يضيع منا كل شيء، حتى حياتنا الإنسانية، فنعيش عيشة الحيوانات الداجنة التي تعمل لغيرها.

الواجب الثانى:

تابع للواجب الأول، وبه ينال، وهو المسارعة إلى رد ما فقدناه من ملك ووطن وعلوم وصناعات وفنون وحرية وإرادة، ودفع ما ابتلينا به من الاستعباد والاستبداد، وفساد الأخلاق والعوائد، وانتشار الفواحش ظاهراً وباطناً، والركون إلى أعداء الله تعالى، والمسارعة فيهم وطلب الدنيا بأعمال الدين، وإهمال العمل بكتاب الله تعالى عملاً بما وصفه أهل الكفر، وفقد الغيرة لله ولرسوله وللفضائل، ونسيان القلوب يوم القيامة وهوله، ومحو الرحمة الإسلامية من بين المجتمع حتى من قلوب أفراد العائلات لبعضهم، وفقد الثقة من بعضنا لبعض ووضعها فى أعداء الله

ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾ وأعدائنا، حتى تمكنوا منا لغفلتنا وغرورنا، وهذان هما واجبا الوقت.)

* ومما سبق من كلام الإمام المجدد أبى العزائم ﷺ ينبغى توافر الشروط التالية لعودة المجد الإسلامى:

١- تحديد الهوية وأساس الانتماء:

على الأمة أن تحدد بصراحة ووضوح هويتها وانتماءها، ولا هوية ولا انتماء لغير الإسلام، فهو محور حياتها، وروح وجودها، وسر بقائها. وصانع حضارتها، و أساس وحدتها.

وقد قال الفاروق عمر ﷺ: (نحن كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز فى غيره أذلنا الله).

وبهذا ترفض كل العصبيات: العنصرية، واللونية، والإقليمية، واللغوية، والطبقية ... وغيرها التى تهدم ولا تبنى، وتفرق ولا تجمع.

وأن تقيم الدولة الإسلامية علاقاتها الدولية باسم الإسلام فقط، بعد أن كشفت المعركة السياسية فى الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، ودول عدم الانحياز، والمنظمات الإفريقية، والأفروآسيوية، والفرانكوفونية، ومجموعة الخمسة عشر، والسبعة والسبعين وغيرها.. تنكر هذه المنظمات لها.. وأنها جميعاً أنشئت لإلغاء أو لتفتيت الوحدة الإسلامية، وتفريق شمل المسلمين.

٢- تحديد المرجعية العليا:

ويترتب على تحديد الهوية والانتماء، تحديد المرجعية العليا لحياة الأمة بمختلف جوانبها: العقدية، والتشريعية، والثقافية، والاجتماعية ... والتى يحتكم إليها الناس إذا اختلفوا، ويرجعون إليها إذا شردوا أو انحرفوا..وما دامت الأمة هى أمة الإسلام

فلا مرجع لها غير الإسلام. والمقصود به (إسلام القرآن والسنة) بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فالإسلام هو الإسلام كما أنزله الله فى كتابه، وكما دعا إليه رسوله﴿ﷺ وآله﴾، وكما عرفه خير قرون هذه الأمة.

٣-ضرورة الاجتهاد والتجديد:

* يجب على الأمة أن ترفض الجمود والتقليد، وأن تؤمن بالاجتهاد والتجديد وفق الأصول الإسلامية الثابتة، وأن ذلك وسيلة ضرورية لفهم مقاصد الإسلام ونصوصه، وتتريلها على وقائع الحياة، مراعية ما قرره علماؤها العاملون من تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف والحال.

ولا توجد أمة حث دينها على الاجتهاد مثل هذه الأمة، حتى إن المجتهد المخطئ الذى تحرى واستفرغ وسعه فى طلب الصواب له أجر، وإن كان أجره دون أجر من أصاب الحق، كما يقول النبى ﴿ﷺ وآله﴾:(إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر واحد، وإن أصاب فله أجران) (الشيخان).

ولا غرو إن تنوعت المشارب، وتعددت المذاهب، واختلفت المدارس، وتعايشت جنباً إلى جنب فى ظل رحابة الإسلام وسماحته.

والتجديد المقصود ينصرف إلى الأمور الدينية البحتة، وإلى الأمور الدنيوية الحياتية:

ففى الناحية الأولى:

يشير المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ إلى شرعية التجديد فى الدين بقوله: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) (أبو داود، والدار قطنى، ودلائل النبوة للبيهقى).

* وليس معنى التجديد إظهار (طبقات جديدة) من الإسلام فى كل قرن أو عصر، تتغير بتغير الناس، وتتلون بلون الحياة. فالحق أن الإسلام- بأصوله الثابتة وأحكامه القطعية- هو الذى يحكم الحياة ويصبغها صبغة الله، فهو الحاكم لا المحكوم، وهو الميزان لا الموزون، وإنما التجديد هنا: تجديد الفهم للدين، وتجديد للإيمان به، وتجديد للعمل به والعمل له. بمعنى ألا يقتصر دور الفرد المسلم على مجرد انتظار المجدد، بل لابد من المشاركة بدوره ونصيبه فى حركة التجديد، من خلال العمل الجاد بالإسلام وللإسلام، مع البحث المتواصل عن مجدد زمانه، حتى يتفضل عليه سبحانه بأن يجمعه به فى الدنيا والآخرة.

وفى الناحية الثانية:

يتبين أن التجديد إذا كان مطلوباً فى أمر الدين- والأصل فيه الاتباع- فهو أكثر طلباً ولزوماً فى أمور الدنيا وشئون الحياة- والأصل فيها الابتداع- فلابد من تهيئة المناخ العقلى والنفسى والاجتماعى للإبداع والابتكار، وتنمية المواهب، والقدرات الخاصة، وتشجيع العقول المبدعة، وتكريم النبوغ والتفوق، واستعادة العقول المهاجرة إلى ميداها الطبيعى فى رحاب أمتها، فهى أولى بهم وهم أولى بها.

كل هذا مطلوب من الأمة الإسلامية بشدة، حتى ليعتبره الإسلام من فروض الكفاية، التى لابد أن يقوم بها البعض ليسقط الإثم عن الباقين، وإلا أثم الجميع بتركها.

٤- تجسيد الإسلام فى أخلاق وأعمال:

ينبغى على الأمة أن تجسد إسلامها – الذى تفاخر به وتعتز- فى أخلاق وأعمال، ولا يبقى مجرد شعارات ترفع، أو دعاوى تدعى.

وأهم ما يجب أن تحرص الأمة على التمسك به وتطبيقه: التجرد والإخلاص لله،

والانتصار على شهوات النفس، وعلى نزعات العرقية والقبلية، التى حطمت الصومال تحطيماً شاملاً، وحطمت أفغانستان وأحرقت ثمرة جهادها، وتوشك أن تحطم أثيوبيا وإرتريا، وتوشك كذلك أن تمزق دولاً إسلامية أخرى شر ممزق.

إن تحويل مبادئ الإسلام وتعاليمه السمحة إلى واقع سلوكى تطبيقى، هو الذى ساهم فى بصورة فعالة فى نشر نور الإسلام إلى آفاق الأرض، فما انتشر الإسلام إلا بأخلاق المسلمين، وأغلب البلدان الإسلامية لم يدخلها جيش فاتح، بل مسلم تقى صالح..على أن الجيش قد يفتح أرضاً ولكنه لا يفتح قلباً، وإنما القلوب تفتح بالإقناع والقدوة.

٥- الأخذ بأسباب القوة الاقتصادية والعسكرية:

لكى تصبح الأمة المسلمة ذات نفوذ وتأثير قوى فى النظام الدولى، لابد أن يتوافر لديها رصيد ضخم من القوة الاقتصادية والعسكرية، إذا أنهما يتكاملان فى سياق إبراز مكانة الأمة الإسلامية فى النظام الدولى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى:﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ (الأنفال : ٦٠) . فلقد جاء هذا التكليف الإلهى موجهاً إلى الأمة جمعاء ﴿وأعدوا﴾ ليكون كل فرد آخذاً بنصيبه من هذا الأمر الإلهى، كل فيما يخصه وفى مجاله، وفى حدود أقصى استطاعته.. بهدف تحقيق القوة فى جميع المجالات: السياسية، والاقتصادية والعسكرية. ولهذا جاء لفظ (قوة) منكراً ليفيد العموم.. ثم كان تخصيص القوة العسكرية بالذكر لبيان مدى أهميتها الفائقة فى الوصول إلى الهدف المنشود، بأن تكون الأمة المسلمة مرهوبة الجانب من قبل أعداء الدين وأعدائها.

وحينما تصبح الأمة قوية مرهوبة الجانب، فإنها حينئذ تصبح قوة عظمى لها تأثيرها القوى ونفوذها المباشر فى النظام الدولى.

٦- تحقيق نهضة علمية شاملة:

لا يمكن للأمة أن تحقق النمو الاقتصادى والعسكرى بدون وجود قاعدة علمية متينة، فبالنهضة العلمية تمكنت كل من اليابان وألمانيا من النهوض مرة أخرى بعد الدمار الشامل الذى أصاب كليهما فى الحرب العالمية الثانية، وأصبحتا فى سنوات قلائل من القوى العظمى فى المجال الاقتصادى العالمى، ومن خلال هذا التفوق الاقتصادى- القائم على أسس علمية سليمة – استطاعت ألمانيا – مثلاً- أن تستعيد وحدة أراضيها فى بداية التسعينيات.

ومن هنا ينبغى على الأمة الإسلامية أن تستغل الإمكانات المتاحة لديها لتحقيق نهضة علمية شاملة تكون أساساً قوياً للنهضة الاقتصادية والعسكرية المنشودة- أو على الأقل محاولة تطوير ما وصلت إليه الحضارة الغربية- بغية الوصول إلى المكانة القيادية فى المسيرة الحضارية الإنسانية.

وبعد: فهذه رؤية سريعة ومبسطة للمسلمين فى ظل النظام العالمى الجديد، وعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما بين البقاء على وضعهم الراهن بما فيه من فرقة وانقسام وتنافر، أو توحيد الكلمة واجتماع الصف ليعيدوا أمجادهم وسيرتهم الأولى.

والطريق إلى تحقيق هذا واضح، والوصول إليه سهل ميسور بشرط توافر النوايا الصادقة والهمم العالية .

خاتمة

بالجد والاتحاد نيل المجد

* بالجد والاتحاد يعود المجد ويقهر الضد، لأن الجسد لا يبلغ كمال صحته ومسراته إلا إذا اتحدت الأعضاء على العمل للجسد، فقامت العين واليد والأذن وغيرهم لخدمة الجسد. والاتحاد يكسب أهله خيرين: خير الشرف التاريخى الذى يكسبه المجد، وخير السيادة ونفوذ الكلمة وقوة العصبية. والتفرقة تهوى بصاحبها فى ذلين : ذل احتقاره بين الأمة، وذل حرمانه من الثقة به، منحنا الله الاتحاد جميعاً.

* إن الله سبحانه وتعالى بشرنا بأنه يظهر ديننا على الدين كله، وهو القاهر الفاعل لما يريد، وبشرنا بأنه سوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه، يجددون ما اندرس من معالم دينه، ويحيون ما مات من سنن نبيه﴿ﷺ وآله﴾، وإنا لنطمع أن نكون منهم- إن شاء الله تعالى- وقد آن الأوان، وبلغ الظلم عنان السماء، وجاس أعداؤنا خلال الديار، وطعنوا فى ديننا، وقد بشرنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بأنه لا تزال طائفة منا قائمة على الحق.

* فالواجب علينا الآن أن نترك ما حرم الله تعالى، من الربا، والزنا، والخمر، والميسر، والمسارعة فى أعداء الله، وأن نظهر عداوتهم دينا- خصوصاً من أظهروا عداوة الله ورسوله والمسلمين- عملا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**﴾ (الممتحنة: ١).

ثم نبر ونقسط إلى من لم يقاتلونا، ولم يخرجونا من ديارنا، قال الله تعالى: ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم** ﴾ (الممتحنة: ٨). ويجب علينا معاداة غيرهم، والتباعد عن معاملتهم كما قال الله تعالى: ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين**

وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم﴾ (الممتحنة: ٩). يجب علينا أن نوالى من والى الله ورسوله، وأن نتحد قلباً وقالباً على المنفعة الإسلامية العامة، وأن نتجرد من العمل للمصلحة الخاصة بالنفس، وأن نعين من علمنا منه حب الله ورسوله، وبغض أعدائه، وتحققنا منه السعى للخير العام، وأن نطهر أنفسنا من الطمع فى غير مطمع، ومن الحسد، باعتقاد جازم أن الموت قريب، وأن عداوة المسلم عداوة لله ورسوله، وأن كل مسلم يسعى لخير نفسه وإخوته المسلمين، ثم نحافظ كل المحافظة على القيام بشعائر ديننا، ونترك ما نهانا الله عنه دفعة واحدة، مهما كان فيه من الخير العاجل لنا، كموالاة الأعداء، وتقليد خصومنا، وترك الواجب علينا خوفاً أو حياء أو مداراة للعدو، فإن من ترك الحق حياء أو خوفاً أو مداراة للعدو فقد عظم غير الله تعالى، ومسلم عظم غير الله مرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

* يا قوم: للمداراة قدر مخصوص لا تتجاوزه، وللحياء حد محدود لا يخرج عنه، وللخوف صورة واحدة، وهى أن يخاف على نفسه من الموت معتقداً أنه ينجو فيتحيز إلى فئة قوية يقوم معها مجاهداً لله، ومن خاف فى غير هذه الصورة فترك الحق تركه الحق.

* ليس بين المجتمع الإسلامى وبين أن يعود له المجد الذى كان له شقة شاسعة، وإنما هى لمحة تحصل بها الصلحة، ونحن والحمد لله لم يغب عنا رسول الله﴿ﷺ وآله﴾، ولن يغيب ﴿ﷺ وآله﴾ وهو فينا ونحن معه، أما كونه ﴿ﷺ وآله﴾ فينا فالقرآن المجيد والسنة المطهرة- حفظهما الله لنا من التغيير والتبديل، وسهل جداً علينا العمل بهما، والغيرة لهما، وإقامة حدودهما، وقهر المتساهلين على القيام بما أوجبه الله تعالى، ورغب فيه الرسول ﴿ﷺ وآله﴾-.

وأما كوننا معه﴿ﷺ وآله﴾ فأمر لا يكلفنا مشقة، وليس بيننا وبينه شقة، وقد

بين الله تعالى صفات وأخلاق وأعمال من يتفضل عليهم بمعيته ﴿ﷺ وآله﴾ التى بها نكون مع الله تعالى، ويكون الله معنا.

* وكل مسلم يعلم أن الله تعالى ما فرط فى كتابه من شئ، وأن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بين لنا كل شئ من أحوالنا الشخصية، للفرد وحده، وله مع والديه وإخوته وأرحامه، وله مع زوجته وأولاده وأتباعه، وله مع جيرانه ومع أهل قريته، وللفرد مع شركائه ونظرائه فى عمله، من تجارة وزراعة وحرفة وخدمة لكل فرد مع كل فرد، ومع المجتمع، وللأفراد مع بعضهم من المسلمين، ولهم مع أهل الذمة، وللمجتمع مع أهل الحرب.

* بين الله لنا كل شئ حتى علمنا كيف نأكل، وكيف نلبس، وكيف نلامس النساء، وكيف نمشى، ووضح لنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بعمله وقوله كل شئ من شئوننا مما لا تهتدى إليه العقول، ولا تصل إليه الأفكار، بالبحث والتجارب، رحمة من الله تعالى بنا، وعناية، فصرنا- والحمد لله- أعزاء بالله بعقائدنا، سعداء بعبادتنا لله تعالى، إخواناً متحابين بالتشبه برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، أغنياء بمسارعتنا لما أمرنا الله به من العمل للخير العام، فى أمان من شرور الخلق بالتمسك بحسن المعاملة الشرعية، أصحاء الأبدان بتحريم الخمور والفحشاء والفجور، يهابنا ملوك الأرض لتعظيمنا لله تعالى، ومحافظتنا على أحكامه.

* لعمر الله هذا هو العز فى الدنيا والمجد فى الآخرة، به تخضع لنا تيجان ملوك الأرض، وبه نفوز بجوار رسول الله يوم العرض.

* لذا يجب علينا أن نتبصر فى أمورنا، ونتوقى مكائد أعدائنا، ونعتصم بحبل الله تعالى، عاملين بكتابه سبحانه، وبسنة نبيه ﴿ﷺ وآله﴾، ونعتقد أن الحياة الدنيا دار فناء فنحتقر حظوظها وملاذها، متحدين على العمل بالقلب والقالب فيما ننال به سعادتنا ونعيمنا فى الآخرة، محتقرين كل رياسة أو ثروة أو سعادة توقعنا فى التفرقة

وشتات الحال، فإن عدونا قوى يقظ. وننبه إخواننا من البلاد الإسلامية أن يعتبروا بما فات، وأن يستقبلوا المستقبل بقلوب اتحدت على نصرة الحق، وأبدان اجتمعت لتجديد المجد لنفوز بالسعادتين، ونحظى بالحسنيين، ولنعتقد أن عزنا ومجدنا بالرجوع إلى أحكام ديننا، قال الله تعالى: ﴿ **وما النصر إلا من عند الله** ﴾ (آل عمران: ١٢٦). وقال سبحانه: ﴿**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**﴾ (الروم: ٤٧)، أسأل الله تعالى أن يمكن لنا فى الأرض بالحق، وأن يحفظنا من الفتن المضلة، ويوفقنا للعمل بمحابه ومراضيه.

نتائج البحث

١- أسباب ضعف الأمة الإسلامية يعود إلى عوامل كثيرة، منها ما هو نابع من داخلها، ومنها ما كان نتيجة المؤامرات الخارجية التي نسج خيوطها أعداء الأمة بمهارة شديدة.

٢- معالم النظام العالمي الجديد هي إما تدمير الاقتصاد والثقافة وتبعية الشعوب الإسلامية للقائمين على هذا النظام، وإما إبادة العالم الإسلامي بأسره. أو بمعنى آخر إما أن يرتد المسلمون عن دينهم، أو يبادوا.

٣- سبل النهوض بالعالم الإسلامي تبدأ أولاً من بناء الفرد المسلم، ثم بناء الأسرة المسلمة، ثم بناء المجتمع المسلم، وبالتالي بناء الأمة الإسلامية الكبيرة.

٤- الإسلام وحده هو المنهاج الصالح لإقامة نظام عالمي عادل ورشيد، يكفل للبشرية ما تتطلع إليه من أمن واستقرار ورخاء، إن عاد المسلمون إلى دينهم.

٥- مستقبل المسلمين في ظل النظام العالمي مرهون بوحدة صفوفهم واجتماع كلمتهم، وأنه لا سبيل للنهوض بالأمة الإسلامية إلا بالقضاء على أسباب ضعفها وعوامل مرضها.

٦- العدو الرئيسي الخارجي للأمة اليوم هي الصهيونية الممثلة في إسرائيل، والصليبية الممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، ويجب أن تحدد الأمة عدوها، وتسخر جهودها للقضاء عليه.

أما العدو الداخلي للأمة فهي العلمانية والوهابية، فالأولى تحارب الدين، والثانية تفرق المسلمين.

توصيات البحث

١ - نوصى جميع الشعوب الإسلامية بمختلف أجناسها وألوانها ولغاتها أن توحد انتماءها، وتعمل للمنفعة العامة، وتجتمع تحت راية واحدة هى راية الإسلام، التى هى الرباط الجامع بينهم.

٢ - نوصى جميع المسلمين أن لا يجعلوا شهوة السلطان حائلاً دون تحقيق الوحدة الإسلامية المنشودة، وعليهم أن يطرحوا خلافاتهم الشخصية وراء ظهورهم، وأن يهتموا بتعميق معانى الأخوة والوحدة فى نفوس شعوبهم، بأن تكون الوحدة الإسلامية ضمن أساسيات المقررات الدراسية فى المراحل التعليمية المختلفة فى جميع بلدان العالم الإسلامى. وإن لم يتيسر ذلك فهو واجب على كل أب بالنسبة لأسرته، وواجب على الجمعيات الدينية والطرق الصوفية، وخطباء المساجد أن يهتموا بغرس معانى الوحدة والأخوة بين المسلمين.

٣ - نوصى أجهزة الإعلام المختلفة - مرئية ومسموعة ومقروءة- بأن تطهر مادتها الإعلامية من كافة ما يخالف القيم الإسلامية، وأن تجعل هدفها وغايتها إنشاء الإنسان المسلم الصالح كنواة للمجتمع المسلم الصالح، وتحسين صورة المسلمين فى عيون أعدائهم. وإن لم يتيسر ذلك فلا بد من عقد مصالحة عاجلة بين الزوج وزوجته- فىكل بيت مسلم- من أجل اختيار البرامج الهادفة التى يراها أبناؤهم حفاظاً على الجيل المسلم الناشئ.

٤ - نوصى الشعوب الإسلامية بتفهم حقيقة العولمة والجات والنظام العالمى الجديد، والتصدى لهذه الأفكار الخبيثة كما يلى:

أ- **بالنسبة للعولمة:** لابد من المحافظة على القيم والتقاليد والعادات الحسنة، والأخلاقيات الإسلامية الفاضلة، التى تساهم فى بناء الشخصية السوية، وكذلك المحافظة على اللغة العربية، والمراقبة الشديدة لما يبث فى الإعلام المتغرب من سموم مقروءة أو منظورة أو مسموعة.

ب- **بالنسبة للجات:** لابد من تشجيع المنتجات الوطنية والإسلامية، ومقاطعة بضائع الأعداء- أمريكا وإسرائيل- وعدم ركوب وسائل مواصلاتهم، أو التعامل مع بنوكهم، أو تناول الطعام فى مطاعمهم المنتشرة فى بلادنا الإسلامية، والإقلاع النهائى عن التدخين وكل أنواع المخدرات، مع تحسين الصناعة، وترويج البضاعة، وتخصيب الزراعة، وبث روح الابتكار والاختراع فى الأمة.

ج- **بالنسبة للنظام العالمى الجديد:** لابد من اتحاد الأفراد والجماعة، ونبذ الفرقة والتشاحن والبغضاء، والاستعداد الجيد بقدر الاستطاعة فى شتى مجالات الحياة لمواجهة هؤلاء الأعداء.

٥ - لابد من عودة الدور التربوى للبيت والمسجد والمدرسة.

٦ - مناصرة الأقليات الإسلامية، ومد يد العون لها، ودراسة كيفية الحفاظ على هويتها وانتمائها.

٧ - تقوية عمل دور القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، لأنها هى الرمز الوحيد لتوحيد الأمة الإسلامية الموجودة اليوم، ولنعمل على إنشاء السوق الإسلامية المشتركة ولو على نطاق مجموعة من الدول الإسلامية.

٨ - العمل على عقد لقاءات تصاعدية تبدأ من الجمعيات العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية فى مصر، ثم الجمعيات فى البلاد العربية، ثم البلاد الإسلامية، حتى يعقد المؤتمر الكبير على مستوى العالم الإسلامى.

٩ - العمل على تصحيح صورة المسلم فى عيون أعدائه، وذلك بالسلوك الإسلامى

القويم فى بلادنا، وبالسفير الإسلامى الملتزم بتعاليم دينه فى بلادهم.

١٠ - ضرورة رفع الحصار عن الشعوب الإسلامية، والذى فرضـه أعـداؤها من الصـهاينة والأمريكان فى إطار ما يسمى بالأمم المتحدة، وحـتى يصـير المجتمع الإسلامى كالجسد الواحد لأن السكوت عليه يعتبر جريمة إنسـانية وخطيئة دينية.

١١ - العمل على إيقاف ضخ الأموال الإسلامية إلى بنوك الأعداء مـع دراسـة إمكانية سحب أرصدة المسلمين مـن المصـارف الأمريكيـة والغربيـة، واستثمارها فى مشاريع تقام على أرض العالم الإسـلامى، عن طريق إنشاء بنك إسـلامى عالمى يربط بين المصـالح الاقتصـادية والسـياسية والماليـة للأمـة الإسلامية.

١٢ - إنشاء مركز إسلامى دولى لفض المنازعات بين الشعوب الإسلامية، ورعاية الأقليات الإسلامية، وتقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية، يمـول إسلامياً. هذا المركز يعتمد أساساً على الأسس الإسلامية فى فض المنازعات وتقريب وجهات النظر، لقوله تعالى: **﴿وإن طائفتان من المـؤمنين اقتتلـوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حـتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** (الحجرات: ٩). هذا المركز يجب أن يكون تحت إمرتـه جـيش إسلامى كبير قادر على الردع، وإرهاب العدو.

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون **002 022 3901030**

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

الفهـــــــــــــرس

المــوضـــوع الصــفــحــة

(١) مقدمة

(٢) الفصل الأول: أسباب ضعف الأمة الإسلامية

أولاً: الأسباب الداخلية

أ – على المستوى الفردى

ب – على المستوى الجماعى

ثانياً: الأسباب الخارجية

أ – المؤامرات الفكرية

ب – المؤامرات السياسية والعسكرية

المسلمون فى ظل النظام العالمى الجديد فى بداية القرن القادم

الاستعمار العالمى الجديد عن طريق الأخلاق والحضارة

النتائج المتوقعة للنظام العالمى الجديد

(٣) الفصل الثانى : سبل النهوض بالأمة الإسلامية

أولاً: بناء الفرد المسلم

ثانياً: بناء الأسرة المسلمة

١ – حسن اختيار الزوج والزوجة

٢ – ضمانات البيت السعيد

٣ – تربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة

٤ – إحياء أمل الشباب المسلم

ثالثاً: بناء المجتمع المسلم

مواصفات المجتمع الإسلامى المنشود

١ – فى المجال السياسى

٢ – فى المجال الاقتصادى

٣ – فى المجال الاجتماعى

٤ – فى المجال العلمى

٥ – فى المجال العسكرى

٦ – فى المجال الإعلامى

٧ – فى المجال الرياضى

٨ – فى المجال الفنى

(٤) **الفصل الثالث** : كيفية سيادة الأمة الإسلامية

أسباب تفرقة الأمة الإسلامية

عقبات الوحدة الإسلامية ٦

كيفية تذليل عقبات الوحدة الإسلامية

ما هو المجد الذى فقده المسلمون

واجب الوقت لعودة المجد الإسلامى

(٥) **خاتمة** : بالجد والاتحاد نيل المجد

(٦) **نتائج البحث**

(٧) **توصيات البحث**

(٨) **الفهرس**